حوار موجز عن الثالوث

دكتور جورج حبيب بباوي

حوار موجز
عن الثالوث

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢١

الكتاب : حوار موجز عن الثالوث

الكاتب : د. جورج حبيب بباوي

الناشر : جذور للنشر – ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

الطبعة : الأولى ٢٠٢٠

رقم الإيداع :

المطبعة : جي سي سنتر ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
١٤ ش محمود حافظ . ميدان سفير . مصر الجديدة

تمهيد

لماذا تعثَّر شرحُ الثالوث القدوس؟[١]

مقدِّمة

منذ أن التحقتُ بالقسم النهاري للكلية الإكليريكية عام ١٩٥٧، وعقيدة الثالوث هي اهتمامي الأول. وبدأتُ بدراسة رسائل الشهيد أغناطيوس الأنطاكي، وكانت قد نُشرت في مجلة الكرمة، وهي إحدى ثمار عمل الأستاذ حبيب جرجس، وهو أحد رواد النهضة القبطية. ومن رسائل أغناطيوس الأنطاكي، ندرك حقيقةً ثابتةً عند كل الآباء شرقًا وغربًا، **وهي أن الثالوث استُعلِن بتجسد الابن وبحلول الروح القدس.** وعلى هذه الحقيقة الثابتة، بنى كل الآباء، إمَّا شرح عقيدة الثالوث، وإمَّا الدفاع عنها.

وحسب التسليم الكنسي المدوَّن والذي سُلِّم إلينا في كتابات الآباء، **استعلان أُبوة الله هو في تجسُّد الابن. واستعلان بنوة الابن الأزلية هو في أركان التدبير: التجسد، الصلب، والقيامة، والصعود وحلول الروح القدس**[٢].

الأساسُ -إذن- هو تجسد ابن الله، واستعلان الابن، وعلى هذا الأساس، تمَّ شرح نصوص العهد القديم، كما تم أيضًا إدراك عمل الروح القدس الذي عمله في العهد الأول؛ لكي يرتِّب للعمل في العهد الجديد، وهو تقديم الابن واستعلان المتجسِّد، والمصلوب، والحي، ورأس الجسد الكنيسة والحال في المؤمنين، إلى الانسانية، بل إلى الكون كله. وهو تقدمُة المحبة الإلهية الأزلية المُستعلَنة في هذا الدهر في زماننا؛ لكي

١- مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ مايو ٢٠١٥.

٢- سبق أن أشرت إلى هذا في كتاب المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي. انظر الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠١٢.

تدخل الخليقة كلها، وأولها الإنسانية في شركة أبدية مع الآب بواسطة الابن، ومن خلال عمل الروح القدس.

المحاولات التاريخية لشرح عقيدة الثالوث بعد عصر الآباء:

بعد كتابي القديس كيرلس السكندري في الشرق -الكنوز، وحوار عن الثالوث- ترك لنا القديس أوغسطينوس خُلاصة التعليم الغربي عن الثالوث. وقدَّم لنا بشكلٍ مباشرٍ، وغير مباشر، ماريوس فكتورينوس – هيلاري أسقف بواتيه، ثم كتابه هو «عن الثالوث»[٣].

غير أن الحروب وعدم الاستقرار كانت هي السبب الأول في الهجرة إلى العصر الوسيط في الشرق، حيث أُغلِقت المدارس، وحدث انكفاءٌ على الذات، وانحصر الرجاء في الرغبة في البقاء على قيد الحياة، وانقطع نقل ودراسة الكتابات القديمة، فوُلِدَ العصر الوسيط الشرقي الذي ابتعد عن لاهوت انطاكية في سوريا الكبرى، والإسكندرية في مصر، بدليل أن ما وصلنا من كتابات سريانية وقبطية ثم عربية، يشهد بانقطاع التواصل مع تراث الآباء السابقين. وحتى مؤلفات الدمشقي تخلو من الإلهام الذي نراه عند النزينزي، إذ لم يأتِ الدمشقي بما هو حيوي وهام، بل اقتصر على جمع التسليم الكنسي، ولسببٍ غير واضح، أهمل تقديم مكسيموس المعترف. ثم ضاع التراث اليوناني والقبطي بعد ضياع مكتبة الإسكندرية، وهجرة مدرسة الإسكندرية إلى الإسقيط، حيث استقرت في دير الأنبا مقار، ولذلك لم يكن الأمر صدفةً عابرة، أن عُثِرَ على برديات الحوار عن الثالوث للقديس كيرلس الكبير في دير الأنبا مقار.

وقد شَغَلَ الجانب الدفاعي عن عقيدة الثالوث، اهتمام علماء العصر الوسيط. وعلى الرغم من أن أبو اسحق بن العسال، وهو من علماء العصر الوسيط الأقباط، كان يجيد اليونانية، فقد اهتم بترجمة العهد الجديد إلى العربية، ولكنه لم ينقل إلينا تراث الآباء الذين كتبوا باليونانية إلى العربية؛ لأن مؤلَّفات هؤلاء الآباء، يبدو أنها

٣- قام راهبٌ من دير الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ونُشِر في القاهرة ٢٠١٧.

لم تكن موجودة؛ لأن دمار الإسقيط الذي كان مركزًا من مراكز التعليم اللاهوتي، حدث أكثر من مرة، حيث تعاقبت عليه فترات التدمير على يد القبائل الرُّحَّل الوافدين من ليبيا، ويبدو أنه لم ينجُ من التدمير الذي أصاب مصر في الغزو الفارسي في القرن السادس، والذي دمَّر مصر تدميرًا لم تتعافى منه.

أمَّا الذين انشغلوا بالدفاع عن عقيدة الثالوث مثل يحيي ابن عُدي والبوشي وغيرهم، فكان هاجسهم الأول هو الدفاع. على أن اقتصارهم في الدفاع على الرد على قضية التوحيد والتثليث، ودفع شُبهة تعدُّد الآلهة، أدَّى بهؤلاء المدافعين إلى إهمال الكتابة عن استعلان الثالوث في تجسُّد الابن؛ بالرغم من تعرُّض التجسُّد نفسه لنيران معارضة سخيفة. ويمكننا أن نلخِّص الموقف في عبارة واحدة، فقد اختفت ملامح التدبير، وتحوَّلت العقيدة إلى صراع فكري فلسفي تراه في كتاب «الواحد والوحدة» لأبي نصر الفارابي[٤]. وقد تأسَّس هذا الصراع على ما استقر في الفلسفة اليونانية الكلاسيكية عند أرسطو، وما تطوَّر بعد ذلك في ذات مدرسة أرسطو، لا سيما بعد أن نقل العلماء السريان الأرثوذكس والنساطرة كتابات أرسطو إلى العربية، وإن كانت الترجمة قد نُسِبَت إلى علماء مسلمين فيما بعد[٥].

ما غاب من الجانب الدفاعي:

أولًا: اقتصر الجانب الدفاعي -كما قلنا- على محاولات الإقناع العقلية بأن الثلاثة واحد، وأن البنوة روحية مثل صدور النور من قرص الشمس ... الخ. وبالرغم مما انطوت عليه هذه المحاولات من جهد، إلَّا أنها -في نهاية المطاف- لم تقدِّم الخلاص، ولم تفتح باب التذوُّق، أي تذوُّق شركتنا في الثالوث، ونوال عطية التبني من الابن بالروح القدس.

٤- نشر النص محسن مهدي في الدار البيضاء ١٩٨٩.

٥- القول بأن علماء المسلمين هم الذين قاموا بترجمة كتابات أرسطو إلى اللغة العربية، هو قولٌ غير صحيح بالمرة؛ لأن الذين تمكَّنوا من دراسة وقراءة اليونانية كانوا من السريان في العراق وسوريا وجزء من بلاد فارس، ولم يكونوا من العرب، وإن كان بعض علماء المسلمين قد قاموا بمراجعة وضبط الترجمة العربية، ولكن دون العودة إلى الأصل اليوناني.

ثانيًا: ترك الجانبُ الدفاعي، الليتورجية، في حين **أن الثالوث مُعلَنٌ لنا في الليتورجية. والقُدَّاسات هي استعلان الثالوث في حركة العطاء والشركة**؛ لأن الثالوث هو حياة الله المتحرِّكة دائمًا نحو الإنسانية لكي تفتح هذه الحركة المملوءة بفيض المحبة، عطايا لا يملكها الإنسان، وليست في متناول الطبائع المخلوقة كلها، وأولها الإنسان.

وبالرغم من **أن الليتورجية هي استعلان الثالوث في تقديم حياة الابن في سر الشركة**، إلَّا أن اسم «سِرّ الشركة، أي الإفخارستيا، أو التناول»، قد غاب أيضًا عن هذا الجانب الدفاعي.

وليس ذلك فقط، بل غاب أيضًا الاستعداد الروحي الذي فيه – وبواسطة رأس الكنيسة ربنا يسوع المسيح – ندخل في شركة مع الآب بالروح القدس، واكتفينا بالاحتراس الجسداني، وهو ساعات الصوم – الاستحمام – الامتناع عن العلاقات الزوجية. وهو ما وصلنا واستقر لدينا –للأسف– من العصر الوسيط، ثم أضاف العصر الحديث إليه، فرشاة الأسنان.

كل ذلك أدَّى إلى عدم الوعي باستعلان الثالوث في الليتورجية. فاليوم، إذا سألت ١٠٠ شخص يواظبون على حضور القُدَّاسات، إذا ما كانوا قد سمعوا عن تعليم باستعلان الثالوث في القُدَّاسات، فسوف تجد أن ٩٩ ٪ منهم لم يسمعوا، بل لم يعرفوا هذه الحقيقة الإلهية التي تبدأ بـ «مجدًا وإكرامًا للثالوث القدوس»، وبعد تمجيد الثالوث الواهب المجد والكرامة لنا نحن البشر، ننادي: «واحدٌ هو الآب القدوس، واحدٌ هو الابن القدوس، واحدٌ هو الروح القدس».

ثالثًا: تسبب تحوُّل الأقنوم إلى صفة من صفات جوهر اللاهوت في خسارة كبرى، ألا وهي فقدان المحبة الأقنومية أو الشخصية. ذلك لأن اللاهوت الدفاعي يصارع لإثبات ثلاث صفات ذاتية أو جوهرية، ليس من بينها المحبة!!! في حين أن «الله محبة» (١يوحنا ٤: ٨، ١٦)، وهو حياة، وهو هنا ليس شخصًا + صفات، بل شخصٌ يعلن عن شخصه، أو أقانيمه بعلاقة المحبة، وهي حياته وجوهره.

رابعًا: فات الجانب الدفاعي أن اللغة لا تسبق الوجود؛ لأن البنوة سابقة على

اللفظ. الطبيعة تسبق كل المصطلحات، بل كما يقول أثناسيوس نفسه: «المصطلحات لا تسبق الجوهر أو الطبائع، ولكن الطبائع أولًا، والمصطلحات ثانيًا" **(الرد على الأريوسيين ٢:٣). ونحن لا نتعرف على ما هو موجود بالمصطلحات، بل بالعلاقة، والعلاقة هي التي تحدد المصطلحات وتختارها. ولذلك، كلُّ حوارٍ أو بحثٍ عن المصطلحات يتجاهل العلاقة، يصبح مجردَ لغوٍ وضياع وقتٍ وسفسطة، مثل تلك التي اشتُهِر بها بعض المثقفين القدامى،** كأن تكون هناك محاولة لإثبات وجود شيء، أو إثبات عدم وجوده، فقط بالحوار اللفظي[٦].

فعندما أهملنا عطية التبني ومعها عطية الحياة، وقبل التبني، استعلان المحبة الإلهية، جرى البحث عن الثلاثة والواحد على النحو الذي نراه في كتاب أبي نصر الفارابي. ولم يظهر إلَّا عدة مقالات موجزة عن المحبة عند أوغسطينوس في كتاب الثالوث (الكتاب ٥، و٦، و٧)، ولم يلتزم أوغسطينوس باستعلان المحبة التي استُعلِنَت في تجسد الابن، أو في صَلبه، أو في قيامته؛ نظرًا لأن القيامةَ جعلت التجسد محبة أبدية للبشر، بل اقتصر عمل أوغسطينوس على مناقشة المحبة وقوامها وعملها بشكل فلسفي.

الأُلوهة حركةٌ دائمةٌ، وهي حركةُ المحبة

الألوهة هي حركة المحبة، وهي حركة دائمة. يبدو هذا بأكثر وضوح عندما يصف أثناسيوس الرسولي الله بأنه ينبوع، وأنه لا يمكن للينبوع أن يكون جافًا (راجع ضد الأريوسيين ١: ١٤)، ولذلك، فإن ولادة الابن هي ولادة حياة مثمرة وليست عقيمة (ضد الأريوسيين ١: ١٩)، فالله إذن هو ينبوع الحياة والحكمة، وثمرة هذا الينبوع هو الحكمة أو اللوغوس أو الابن الأزلي.

ويظهر ذلك عندما تسبق ولادة الابن الزمان، فهي حركة في حياة الآب (وهي لذلك سابقة على اللفظ).

٦- هناك قصة مشهورة لها دلالتها في هذا السياق عن متصوفٍ كان يجلس بجوارِ نهرٍ يتأمل جريان الماء، وجاء واحدٌ من الرعاع وصفع المتصوف على قفاه صفعةً قويةً، بعدها قال له في صفاقةٍ: ما هو مصدر الصوت، أي صوت الصفعة، هل هي يدي أم قفاك؟ وهنا أجابه الصوفي: يجب أن أصفعك أنا على قفاك؛ لعل الألم هو الذي يجيب على سؤالك الغبي.

ويتضح هذا في إرسالية الابن الوحيد، التي عبرَّ عنها الربُّ نفسه في مَثَل الابن الذي قتَله الكرامون الأشرار، وهي حركة لم نتوقف عندها كثيرًا، بالرغم من أنها مُتَّجهة نحو الإنسانية. يقول القديس يوحنا الرسول الإنجيلي:

"على هذا النحو أحب الله العالم

فبذل ابنه الوحيد

لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (**يوحنا ٣: ١٦**).

فالمحبة الباذلة، وهي ليست عبارةً، ولا هي مصطلحًا، ولا هي لغةً. المحبة الباذلة هي حياة الثالوث القدوس، والثالوث أقانيم. هذه المحبة ليست مجرد عبارات قد تشهد لها الكلمات، ولكنها أعظم من الكلمات، كما نقول في صلاة الصلح: «عالٍ فوق كل قوة النطق ....». هذه المحبة نجد صداها يتردد في قلب الإنسان، في محبة الآباء والأمهات والأخوة والأخوات، بل تبدو هذه المحبة حتى في المحبة التي يبديها الأشرار مثل الزناة من أجل اشباع شهوة الزنى. المحبةُ ليست غريبةً على الإنسان. قد تنام تحت مركَّبات النقص، أو تحت جروحٍ في الطفولة، أو تعاني من انعدام الثقة بسبب خبرات مؤلمة لم تُشفَ، ولكنها تظلُ بذرةً حيَّةً لا تموت، رغم أنها قد تتجه إلى الذات وحدها، كما في حالات متنوعة من النرجسية.

كذلك يجب أن ننتبه إلى أن الحلول الإلهي للروح القدس والسكنى، هما وصفٌ لحركة المحبة الإلهية. ولا يوجد أعظم من عطية الحياة والقيامة والغفران والتجديد والامتلاء من الروح القدس، في صلوات واستعلان الثالوث في القداسات.

ماذا حدث عندما أصبح الأقنوم أو الشخص صفةً جوهريةً؟[٧]

أولا: تحوَّلت العلاقة، من علاقة شخصية، أي أقنومية، إلى علاقة مبهمة غامضة. ويجب أن ننتبه إلى أن التعامل مع الصفة –حتى على المستوى الإنساني– إنما يجمِّد

٧- راجع دراستنا بعنوان: هل الثالوث هو صفات الوجود والعقل والحياة؟ منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

كل علاقة إنسانية ممكنة. وهنا أدعوك -قارئي العزيز- أن تحاول أن تجرِّب قَصر تعاملك مع أي شخصٍ تعرفه على ما فيه من صفات مثل الأمانة أو الصدق، أو أي صفة أخرى، فسوف تجد أن هذه الصفة جمَّدت العلاقة، وصارت هذه العلاقة -في النهاية- علاقة مجردة. لقد جاء التجريد من «اللا – شخص»، وبالتالي تدور العلاقة حول ما يُكتسب من معرفة الآخر، وقد تنهار هذه العلاقة، إذا ظهرت صفات سلبية مثل الكبرياء. أمَّا إذا بدأت العلاقة كعلاقة شخصية بغضِّ النظر عن الصفات، فلا شك في نموها فيما بعد.

عندما صار الآب هو الوجود، أو أي صفة أخرى، ولم نسأل كيف يجود الوجود بالابن الوحيد، وكيف يحب الوجود العالم، وكيف يرسل الوجود الروح القدس.. فقدنا العلاقة الشخصية بالثالوث، ودُرنا في فلكِ تصوراتٍ عقليةٍ لا تمت إلى الواقع بصلة، بالرغم من أن هذه الأفعال (يجود – يحب – يرسل)، هي أفعالُ شخصٍ لا أفعالٌ صادرةٌ عن صفة.

ثانيًا: كلمة «أقنوم» السريانية هي ترجمة للكلمة اليونانية **hypostasis**، وهي أيضًا ترجمة للكلمة العبرانية «وجه». ومنها «وجه الله»، وهي تعود إلى إشراق كيان حقيقي هو وجه الآب، ووجه الآب هو يسوع المسيح الذي أشرق لنا بنور معرفة الآب (٢ كور ٤ : ٦). **وهذا هو المعنى وراء ما يطلبه الكاهن بعد وضع القربان على المذبح، حيث يقول**: «**اظهر وجهك على هذا الخبز**»، **فهو استدعاء أقنوم الله الكلمة، وهو نفسه حلول أقنوم الابن**، «**الذي أظهر لنا نور الآب. الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية**».

لقد سُكِبَ قدرٌ كبيرٌ من المِداد على الورق حول تاريخ الكلمة اليونانية واستعمالها وجرى حوله بحث ونقاش لا داعي للتعرض له، لكن ما يجب أن نلفت النظر إليه هو أن هذا النقاش خلا من التأكيد على أن الكلمة تعني «**وجود كيان حقيقي**»، **أي مَن هو كائنٌ**، وهو الحكمة – اللوغوس – الابن، ثم **مَن هو مُستعلَنٌ** في زماننا، في شكلنا الإنساني، وحياتنا المائتة؛ لكي تُستَعلَن حكمته ومحبته في شخصه، في تجسده، وفي التعليم، وفي الموت لتحرير الإنسانية. هذه لا يجب أن تؤخذ على أنها

صفات للأقنوم تُدرَس كموضوع مستقل؛ لأن الرسولي أثناسيوس يقول: «الله ذاته هو القوة» (ضد الأريوسيين ١: ١١).

ما أعظم الفرق بين أن نقول: «القوة + الله»، وأن نقول: «الله هو القوة». لأن «الله هو القوة»، هي العلاقة الشخصية، هي كيف تعبِّر القوة عن المحبة، وكيف استُعلِنَت قوة المحبة في تواضع الابن وإخلاء ذاته، وفي انسكاب الروح المعزِّي.

فالأقنوم هو كيانٌ مُستَعلَن ليس بلفظٍ، بل بما يُعطي. وعندما نهمل العطاء، لا نجد لدينا سوى اللَّف والدوران حول أصل واستعمال الكلمة.

الأقانيم الثلاثة

كل أقنوم له كيانه الخاص الذي لا يجب أن يختلط بالفرد Individual. **خصوصية الأقنوم هي التمايُز، والتمايُز والشركة لا يمكن فصلهما.**

والشركة هي استعلان التمايُز، كما أن التمايُز يؤسِّس الشركة، أو هو قوام الشركة. الابنُ مولودٌ دائمًا من الآب، والروحُ منبثقٌ دائمًا من الآب .. في الثالوث الآبُ هو جوهر الأُلوهة؛ وهذا يختلف تمامًا عن الفلسفة؛ لأن الجوهر -فلسفيًا- **كلمة مجردة Abstract** غامضة يمكن أن تُقال على أية كائنات تجمعها خواصٌّ مشتركة، فتصبح هذه الخواص هي الجوهر، مثل أن يكون جوهر الانسان -حسب أرسطو- هو الحياة – الحركة – العقل، أو الإدراك. وطبعًا ترك أرسطو الحرية.

ثالوثية الأقانيم هي ثالوثية المحبة الإلهية، من الينبوع الآب، من مياه الينبوع الابن، ومن عطية الحياة الروح، حسبما شرح الرسولي أثناسيوس في رسائله عن (الروح القدس إلى سرابيون: **١٩**)؛ **لأننا نحن نشرب، أو نأخذ من الينبوع، من الأصل، من الآب، من استعلان الآب في الابن، ومن هبة الابن لنا، أي حياته بالروح القدس، ويُستَعلَن الروح في هِبات أو مواهب -كلها كما وردت في الأسفار- هي تجلِّ الخلق الجديد الذي رأسُهُ** واستعلانه هو يسوع المسيح نفسه.

ما ورد عن المواهب في (١كو ص ١٢)، تلاه أعظم ما كُتِبَ عن المحبة في **(١كو ص ١٣)، وكلاهما يرسم ملامح أيقونة الرب نفسه: كيف يخدم جسده، وكيف علينا أن ندرك أن هذه المواهب لا يمكن فصلها عن المحبة؛ لأن كل ما قيل عن المحبة في (١كو ١٣: ١-٨) هو عن يسوع نفسه، وما قيل في (١كو ص ١٢) عن المواهب هو عن أعضاء جسد المسيح التي أخذت حياتها من يسوع المسيح نفسه.**

الثالوث والوحدانية:

ثالوثية الأقانيم ووحدانيتها هي الوجود والمصير الإنساني كله، هذه ليست قضية أرقام؛ لأن وجود اليدين والقدمين في جسم الإنسان ليس مسألة رقم، بل هو تنوُّع القدرة والحركة للشكل الإنساني الكامل. بالطبع، لدينا مَن يفقد ذراعًا أو قَدمًا، ولكن هذا ليس هو الشكل العام الدائم لكل البشر، بل يُعد هذا شكلًا بشريًّا ناقصًا، وبالرغم من ذلك، فقد يتفوق من فَقَدَ ذراعًا على مَن له ذراعين، ولكن هذا ليس مبدأً عامًا.

ويبدو الفشل في فهم ثالوثية الأقانيم في التقسيم المعيب الذي حدث في التعليم، والتركيز على أقنوم الابن، أو اقنوم الروح القدس، مع إهمال الاستعلان الكامل. الاستعلان الكامل، هو في الثالوث: في المصدر، في الاستعلان، وفي العطاء. ومِن عطية البنوة -على سبيل المثال- نحن «أبناء للآب في يسوع المسيح بالروح القدس». هذه العبارة الموجزة تؤكِّد أننا دُعينا إلى حياة جديدة وعلاقة جديدة مع الله الآب. صرنا «أبناء»، هذه الصيرورة دائمة، وهي حركة حياة ومحبة تنقل الكيان الإنساني عندما يتلامس الإنسان مع الآب بواسطة الابن الذي -في تجسُّدِهِ- فَتَحَ لنا أحضان الآب. وبالشركة في الابن نأخذ الروح، القوة والعطية التي تعطي لنا «صورة المسيح»، وهي ليست فقط وصفًا خارجيًّا، بل هي أيضًا الكيان الذي تم خلقه من جديد ليكون مثل المسيح؛ ولذلك دُعي «صورةً»؛ لأن الأصل هو يسوع. وهذا ما يجب أن ندركه في أن الأيقونات هي صور، وأن الأُصول هم القديسين أنفسهم. ونحن لدينا الأيقونة

أو الصورة؛ لكي نبقى في شركة مع الأُصول، مع النُسَّاك والآباء والشهداء والأمهات الذين حفظوا لنا الإيمان بالدم والعرق والصبر والاحتمال والشهادة الحسنة.

ثالوثية الحركة:

تبدو ثالوثية الحركة في الحلول المتبادَل. و«الحلول» هو تعبير العهد الجديد: «الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال التي أعملها أنا» (يوحنا ١٤: ١٠). «الحلول» هو عطاءُ الذات. الحلول ليس حركةً عمياء لصفات، بل هو حركة المحبة. عطاءُ ولادة الابن، وانبثاق الروح القدس. هي تلك الشركة التي بالحلول المتبادَل. إنَّ «أنا في الآب والآب فيَّ» (يوحنا ١٤: ١٠). و «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠)، تجعل الحياة الواحدة في حركة محبة دائمة.

+ **عندما يولد الابن من الآب، تفيض محبة الآب للابن. والابن يُولد لكي يبقى في حضن الآب.**

+ **عندما ينبثق الروح القدس من الآب، تفيض محبة الآب ويعطي الروح للابن، ويحمل الروحُ الابنَ إلى الآب.**

+ **يظلُّ الآبُ هو الينبوع، وفيضٌ دائمٌ بالحياة والمحبة، ومنه يأخذ الابن والروح القدس.**

+ **عندما تجسَّد الابن، أدخل إنسانيته في الحياة الحرة المتحرِّكة وعطاء الذات الدائم الذي لا يتوقف؛ لأنه يشبه –مع الفارق الهائل– تنفُّس الإنسان. ولأن الابن المتجسِّد هو الوسيط؛ دخلنا نحن في هذه الحركة، ولكن فيه هو؛ لأنه هو «البدء» و «الرأس».**

الكيان الكامل:

الثالوث هو الحياة الكاملة لله. **هو الأصل والاستعلان والعطاء. الآب هو الأصل، والابن هو الاستعلان، والروح هو العطية. كيانٌ كاملٌ صالحٌ لا ي**ستأثر لنفسه بصلاحه ولا يستحوذ عليه، بل يمنحه للخليقة، ولتاج الخليقة وربِّها، أي الإنسان حسب (مزمور ٨). لا نقص فيه؛ لأن الأصل الفائق غير المستعلَن، هو الآب، ويبدو الكمال في أن غير المستعلَن يعطي ذاته في الاستعلان. **والاستعلانُ كيانٌ أو أقنوم. استُعلِن الابنُ لكي يعطي، فتنال الإنسانية منه نعمة البنوة. البنوة هي كيان الابن، وهي للإنسانية نعمةٌ؛ لأن ما هو كائنٌ في اللاهوت، لا كيان آخر له خارج الحياة الالهية،** والنعمة هي العطاء الإلهي الذي تدخل به الخلقة التي جاءت «من لا شيء» إلى الوجود. هذه الخلقة التي وجودها منحةٌ وهبةٌ، وهو ما وصفة القديس أثناسيوس الرسولي بأنه النعمة الأولى التي أُضيف إليها النعمة الثانية، أي نعمة الوجود، التي أُضيف لها نعمة الصورة، حيث يقول: «الله صالح، بل هو بالحري مصدر الصلاح ... تحنن على جنس البشر ... وأعطاه نعمة إضافيةً، فلم يكتفِ بخلق البشر مثل باقي الكائنات ... بل خلقهم على صورته». فمَن لا كيان له، والذي كيانه عائدٌ إلى هبة الخالق، لا يمكن أن يتساوى كيانيًّا مع الخالق في أي شيء. ولذلك، يردد الرسول بولس إننا «به نوجد ونحيا ونتحرك» (أع ١٧: ٢٨)، أي لنا كيانٌ حيٌّ متحرِّكٌ، وهو كله هبةٌ من الخالق. و «به» **تعني أنه لا وجودَ خاصًا لنا يعود إلى كياننا،** بل لا وجود لكياننا إلَّا بنعمة الوجود.

الكيان الكامل له أصل، وله استعلان، وله هبات أو عطايا. ولذلك، إذا رأينا بصمات الثالوث في الخليقة، فإننا منها نتعلم أنها صوَرٌ للأصل الكامل، وهو الثالوث.

الولادة من ذات الآب، أو من جوهره

لا يمكن أن نتكلم عن الله بلغةٍ إلهيةٍ؛ لأن كلَّ لُغات البشر نابعةٌ من الخبرة، ومن تقدُّم الفكر، ومن نمو المعرفة، ومن التواصل مع اللغات الأخرى. في اللغة العربية -وكلمة لغة ليست عربية، بل عائدة إلى اليونانية- الكلمة العربية القديمة المهجورة

هي «لسان»، ولا زالت «مدرسة الألسن» لدينا تتمسك بهذا الاسم القديم. ليس لدينا في أي لغة إنسانية كلمة عن صلة كيانية بين اثنين، سوى الآب والابن. وهي الصلة الكيانية التي تجعل الاثنين:

+ **من ذات الطبيعة.**
+ **وكلاهما يشرح الآخر. فلا آب بلا ابن، ولا ابن بلا آب.**
+ **الاستعلان هو للبشر. ولا توجد كلمة أقرب إلى إدراك الإنسان من كلمة "ابن". بالطبع، هناك كلمات مثل "حكمة"،** و"لوغوس"، **وكلاهما هام، ولكن في صدد شرح العلاقة الكيانية، لا يوجد أفضل من كلمتي "آب وابن".**
+ **الاستعلان وُهِبَ للإنسانية، ووُهِبَ** للإنسانية لكي يعيدها إلى حياةٍ أعظم، ويحقق نمو الصورة الإلهية بعطية التبني.

الولادة والانبثاق:

كلاهما معًا استعلان تمايُز الابن عن الروح القدس، واختلاف اللفظ يدعِّم الوعي الإنساني بتمايُز الابن والروح. **لكن الولادة والانبثاق هي حركة محبة الآب، أي المحبة التي تمارَس في جوهر أو في حياة الثالوث، وهي حركة لا يمكن فهمها إلَّا بواسطة التدبير،** حيث تُستعلَن المحبة الثالوثية للثالوث، أي محبة الثالوث لذاته، محبة الآب للابن والروح، وهي ذات محبة الابن للآب والروح، وهي ذات محبة الروح للآب والابن. هذا التكرار ضروري لتأكيد حركة الحلول المتبادَل الذي يحل فيه كل أقنوم في الآخر معطيًا ذاته عطاءً كاملًا لكي يقابَل هذا العطاء بنفس العطاء الكامل. وعطاء الآب لأقنوم الابن هو الذي جعل الابن يحمل –مع ضعف التعبير– محبة الآب لنا، معطيًا إيانا محبة الآب في كيانه. ولذلك، عندما يقول إنه سوف يأتي هو والآب لكي يجعل مكان إقامته فينا، فإنه –بكل يقين– يحمل معه وفيه الروح القدس؛ لأن حلول الروح القدس فينا بواسطة وساطة الابن هو

تأكيدٌ على محبة الروح القدس الفائقة التي هي ذات محبة الابن، ولكن الآن –بسبب التدبير– صارت هذه المحبة متَّجهة وفاعلة، وتحل في الإنسانية بسبب وساطة رب المجد، ربنا يسوع المسيح.

عندما يسكن فينا الابن له المجد، يمكننا –بالروح القدس– أن نقول مع الابن: «أبَّا أيها الآب» (غلا ٤: ٤–٦).

وعندما نقول: «أبَّا أيها الآب» مع الابن بالروح القدس، فإننا ندخل هذه الشركة، شركة المحبة للثالوث، وتنسكب محبة الثالوث فينا (رو ٥: ٥)، ونذوق ما هو فوق الكلام وكل لفظ، بل وكل فكر؛ نذوق حلاوة المحبة الإلهية الأزلية.

السجود بالروح والحق:

السجود بالروح المعزِّي؛ لأننا في الحق، يسوع المسيح الذي قال: «أنا الحق». والسجود هنا ليس سجودُ العبيد، بل هو سجود البنين الأحرار. هو انسكاب وعطاءِ الحياة للثالوث. وحركة التسليم التي تتم بواسطة الجسد هذه، مُعلَنَةٌ بالمعزِّي الذي فيه وبه يُستعلَن الآب والابن. هذا يفوق قدرة الإنسان على التعبير. قال راهبٌ إسقيطي: **هل يمكن أن تصف حلاوة العسل، سوى بأنه حلو، وأن حلاوته تعلو على أي حلاوة أخرى؟ العجز عن التعبير مصدره ارتفاع الاختبار إلى ما هو فوق اللفظ، وإلى ما نعجز نحن عن التعبير عنه.**

ذلك التسليم هو لأبوة الآب، وهو ما يغرسه الروح المعزِّي فينا، وهو ما يفوق، بل ويعلو على اللفظ. هنا نعود إلى أصل الوجود الإنساني، إلى الثالوث، بقوة واستعلان الروح القدس؛ لأنه يُعلِن لنا بنوَّتنا للآب في الابن، ويقودنا إلى معرفة هذه المحبة الفائقة، حيث يقف الإنسان عاريًا من كل تحديدات الفكر وكل الألفاظ؛ لأننا لا نبدأ بما نعرف، بل بما يُوهَب ويُستَعلَن، وهو استعلانٌ يقود الفكر، لا إلى صياغات، بل إلى تدفق المحبة الإلهية التي تزلزل كيان الإنسان؛ لأنه خُلِقَ من العدم، ولأنه لم يعمل أو يحقق شيئًا ما، يجعله أهلًا لفيض المحبة الإلهية.

هذا هو السجود بالحق، أي بيسوع الحق الذي فيه ننال ملء حلول الله فينا.

ليس الثالوث بلا إرادة، وإلَّا يكون الإنسان قادرًا على اقتحام الحياة الإلهية والاستيلاء عليها. مَن قال بأن حلول الروح القدس فينا يجعلنا آلهة، كَشَفَ عن عدوانية واستيلائية تجعل الله – حسب فهمه – فريسةً أو أنثى تُغتَصَب. الاغتصابُ عملٌ قسريٌّ لا محبةَ فيه، وهو – بكل ما نعرفه عن الحياة العقلية والنفسية للبشر– ليس تصرُّفًا إنسانيًا، بل هو تصرُّفٌ حيوانيٌ يجعل صاحب هذا الادعاء Predator حيوانًا مفترسًا.

نحن لا نحتوي الثالوث، ولا يحتوينا الثالوث؛ لأن الاحتواءَ اغتصابٌ Rape بل يحفظ الثالوثُ حريتنا؛ لأنه عندما تنعدم الحرية، تنعدم المحبة. والمحبة التي لا تطلب ما لنفسها (١كو ١٣: ٥)، لا يمكن أن تحتوي أحدًا، بل بالصلاح والجود، تعطي لكي يخلص الإنسان من «وثنية الحرف»، ومن الصور المتراكمة عن الحياة الإلهية.

التبني بالروح القدس من الآب في الابن:

عطية التبني هي آخر مراحل تحوُّل الإنسان من العبودية للطبيعة، وهي عبودية دخلت مع الموت حيث الفناء، وهو انهيار الكيان الإنساني وتمزُّقه إلى جسدٍ في التراب وروحٍ في «الجحيم». أقول إن عطية التبني هي آخر مراحل تحوُّل الإنسان من العبودية للطبيعة، إلى الشركة في كيان الابن المتجسد.

إن نقلةُ الإنسان إلى الحياة الإلهية كإنسان، استُعلِنَت في الابن، ليس حسب أهواء وخيال الإنسان، بل حسب ما استُعلِن في تجسُّد الابن، في ميلاده، ومسحته، وغلبة الشيطان في البرية، وصَلبه، وموته، ودفنه، وقيامته، وصعوده إلى السموات. تحوُّل إنسانية المسيح إلى حياة مجد الابن الوحيد الذي مجَّد جسده بمجد الأُلوهة؛ لأنه نقل الطبيعة الانسانية إلى كيانه (أثناسيوس الرسولي: الرسالة إلى أدلفوس: ٤)، **هو كيان الابن الوحيد لله الآب. والشركة في هذا الكيان، هي نقل الإنسان من عبودية الطبيعة. لقد نقل الابنُ الإنسانيةَ فيه هو، فَجَعَلَ كيانه المتجسِّد هو استعلان التبني، ولأن هذا الكيان المتجسِّد نال الجسد من الروح القدس، فصار الروحُ يعطي لنا حياةً جديدةً هي عطية التبني**، وينقل أصل كل إنسان من

آدم إلى المسيح، حيث يستقر كل إنسان إلى الأبد ابنًا **أولا** حُرًّا من الطبيعة القديمة التي لها آليات العبودية وقانون الموت، أي آليات الخضوع والاستعباد التي جعلت الإنسان يظن أن خيالات الشر هي البقاء، وهي وجوده الحقيقي، ولذلك يُستعَبَد؛ لأنه يظن أنها كيانه، بينما هو في الواقع الكيان المزيَّف الذي اخترعه الإنسان لذاته. **ثانيًا**: خضوع الطبيعة إلى الشخص؛ لأن الإنسان قبل المسيح وقبل التجديد، كان يخضع إلى الطبيعة، إلى «أركان العالم» (كولوسي **٢: ٨**)، **أي إلى النظام الاجتماعي والسياسي .... الخ أي النظام الذي جعل** «**الإنسان خُلِقَ من أجل السبت**».

لذا، **فعندما يُنقل التبني من حقيقة كيانية، إلى الادعاء بأنه مجرد استعارة** مثل «ابن النيل»، أو «ابن الكرم»، **فلا شك أن هذا يُعدُّ هدمًا لعطية الآب لنا في المسيح يسوع**؛ لأن الرسول يقول: «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله». ولم يقف الإنجيل عند هذه العبارة، بل بشَّرَنا بالخبر السار: «الذين وُلِدوا ليس من دم (من إنسان) ولا من مشيئة جسد (زواج) ولا من مشيئة رجل (بالإرادة الإنسانية) بل من الله (١: ١٢-١٣). ولأنه لا توجد علاقة كيانية مع النيل أو الكرم، حَذَفَ الرسولُ كلَّ أشكال الولادة حسب الطبيعة، وحسب التوالد البشري، وبالقدرة الإنسانية.

ولأننا أخوة الرب؛ فهو «بِكرٌ بين أخوةٍ كثيرين» (رو ٨: ١٩)، فهو البِكر، ليس بالاستعارة ولا بالتشبيه، بل بحقيقة تجسُّده؛ لأنه شابهنا في كل شيء، واشترك معنا في ذات «اللحم والدم» (عب ٢: ١٤).

وعندما ننال روح التبني، أي روح يسوع - روح الابن، فهذه ليست علاقة أدبية، بل علاقة كيانية: «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا صارخًا يا أبَّا الآب» (غلا ٤: ٦)، فالروح هو الذي يهبنا هذه الشركة؛ لأنها ليست شركة بيولوجية جسدانية، بل روحية إلهية من الآب.

حوارٌ موجز عن الثالوث

تقديم

صديقي سامي شخصٌ يعيش معنا، سقط في شِباك «شهود يهوه»، وترك المسيحية. سلَّم له شهود يهوه «كومًا» من الاعتراضات على عقيدة الثالوث والإيمان الحي بالله الواحد المثلث الأقانيم. وجدته يعمل في أحد المحلات التجارية. سجَّل الحوار على تليفونه الخاص به، ثم أعطاني نسخة ورقية راجعتها. طلب هو تغيير اسمه فقط، واختار هو اسم سامي. راجع النص بعد كتابته. كان يردد قبل تسجيل الحوار: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربٌّ واحد»، وقلت له إن هذا أساسٌ بُنِيَ عليه استعلانٌ من فم المسيح: «تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»، وأن الرب يسوع نفسه قال للرسل: «وتكونون لي شهودًا» (أع ١: ٨) فنحن شهود يسوع وليس شهود يهوه؛ لأن اسم «يهوه» هو اسم عبراني، والعهد الجديد هو عهدٌ كوني، واسم الله هو الآب والابن والروح القدس، وهذه الأسماء، وإن كان لها جذورٌ عبرانية، إلَّا أنها نُقلت بكل اللغات لكي تؤدي نفس المعنى.

الحوار كان لمدة دقائق، ولكنه كان يتم في مكانٍ عام، ولذلك لم يكن التسجيل نقيًّا حتى يمكن نقله لمن يريد أن يسمع، ولذلك تمت كتابته، وهو لا زال حوارًا مفتوحًا، وإن كنا قد توقفنا عند الحوار السادس، إلَّا أن هناك الكثير؛ لأن موضوع الثالوث غزير وكثيف، وكل ما يمكن أن نقدمه هنا، أو في أي دراسة أخرى هو نقاط من «نهر ماء الحياة»[١].

علينا أن نصلي دائمًا من أجل المأسورين في شِباك شهود يهوه وغيرهم. ليعطي لنا الآب السماوي حكمةً لنا عندما نتكلم؛ لكي نعلن سر المسيح بمحبة وحق؛ لأن مَن يتكلم بالحق ينال معونة «روح الحق»، ومَن يتكلم بالكذب، يخسر معونة «روح الحق».

١- أُجريت هذه الحوارات على حلقتين، ونُشِرت الحلقة الأولى من هذه الحوارات على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من ١٠ ديسمبر ٢٠١٤، وحتى ١٩ ديسمبر ٢٠١٤. ونُشِرت الحلقة الثانية في الفترة من ٢٧ فبراير ٢٠١٥ وحتى ٢٠ مارس ٢٠١٥.

(الحلقة الأولى)

(١)

سامي : هل أنت كشخصٍ متعلِّم، تؤمن بالثالوث؟

جورج : الثالوث ليس تعليمًا مضادًا للعلم، أو لأي فرع من فروع المعرفة.

سامي : لكن ألا ترى أن الواحد، أي الله في ثلاثة، مضادٌ تمامًا للمنطق؟

جورج : ألا ترى أنه لا يوجد منطق يقول إن الجسد الواحد بلا أعضاء متنوعة وكثيرة؟

سامي : ولكن الله ليس جسدًا.

جورج : هذا حق، ولكن كنتُ أردُّ على سؤالك بأن الواحد في ثلاثة هو مضاد للمنطق. ولكن أيَّ منطقٍ هذا الذي يحاصر الله في رقم حسابي هو الواحد؟

سامي : الواحد، حتى وإن كان حسابيًا –كما تقول– هو أسهل وأقرب إلى العقل من واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد.

جورج : عندما يصبح الله الخالق أقرب إلى العقل، حتى حسابيًّا، فهو ليس الله الخالق، بل هو مخلوقٌ قريبٌ من الإدراك، ومألوف لدرجة تجعل ما هو مألوف قريبٌ جدًا من الوثنية.

سامي : حسنًا. ما هي فائدة الثالوث؟

جورج : الثالوث هو استعلان محبة الله، هو «الله محبة». المحبة شركة، وبدون الشركة لا توجد محبة، بل لا عمل للمحبة.

سامي : ولكن الواحد يحب الخليقة ويرعاها. أليس كذلك؟

جورج : نعم، ولكنها محبة الأعظم للأقل. أمَّا محبة الثالوث، فهي محبة ثلاثة متساويين.

سامي : ولكن، كيف تصل محبة ثلاثة متساويين للبشر؟

جورج : واحدٌ من الثلاثة صار إنسانًا، وأنت تعرف أن هذا الواحد هو يسوع المسيح، هو ابن الآب، يحبه الآب كما يحب نفسه، وهو يحب الآب كما يحبه الآب. وعندما تجسَّد أدخل الإنسانيةَ في هذه الشركة.

سامي : أنت ذكرت الآب والابن، فأين الثالث: الروح القدس؟

جورج : الثالثُ هو العطية التي أُعطيت من الآب بواسطة الابن؛ لكي يسكن في الإنسانية، ويعلن لها سر المحبة. الثالوث هو الله يُعرِّف ذاته للإنسانية. هو تعريف المحبة الإلهية. ما هي المشكلة؟

سامي : حتى هذه اللحظة لا توجد مشكلة، ولكن يجب أن نكمل الحوار.

(٢)

سامي : ما هي مشكلتُك مع كلمة واحد؟

جورج : ليس لديَّ مشكلة مع أية كلمة. إنما ما هو مغزى الكلمة؟ وما هو استعمال الكلمة؟ أعني ما هو الهدف من القول بأن «الله واحد»؟

سامي : أنت لا تعرف؟ الله واحد، هو نفيٌ للوثنية وتعدُّد الآلهة.

جورج : هذا جيدٌ جدًا ونافع، ولكنه سلبي، أي لا يكفي. الله واحد بمعنى أنه «وحدة»، وهذا هو معنى الكلمة «آخاد» في العبرانية. أقصد أحد معانيها. عندما يذكر العهد القديم «يهوه آخاد»، فإن العبارة يمكن ترجمتها إلى «يهوه وحدة – Union».

سامي : هذا جديد، ولكن ما هي فائدة هذا الشرح غير الاعتيادي؟ لنفترض أن الله كما تقول أنت «وحدة»، ماذا يعني هذا؟

جورج : يعني ثلاثة أمور هامة: يقول الله: «لا يكن لكَ آلهةٌ أخرى أمامي»، وذلك بعد الخروج من أرض مصر؛ لكي ينسى الشعبُ آلهة مصر. وهو يقول قبل ذلك: «أنا الربُّ إلهك»، أنا واهبُ المواعيد. فهو لا ينفي التعدُّد، ولكنه يضع في الوعي المعنى الثاني لكلمة واحد، وهو الإله الحي الذي يقود شعبه. لا يكفي إنكار الوثنية، والتعدُّد.

سامي : وما هو المعنى الثالث؟

جورج : «الربُّ إلهنا ربٌّ واحد». هو إله العهد والمواعيد الحاضر دائمًا، والمعلِن عن ذاته ليس كواحد. لا يمكن أن يقول الله" «أنا واحد».

سامي : هذا مزعج. مَن إذن الذي قال ذلك؟

جورج : الأنبياء. العبارة هي توجيةٌ لمسار الفكر والوعي. ولكن لماذا لا يمكن لله أن

يقول «أنا واحد»؟ لأن كلمة واحد تنفي أنه الخالق والصالح والقادر والقوي والمعين.

سامي : حاسب. هذه هي صفات الواحد.

جورج : نعم هي صفات الواحد. ولكن كلمة صفات هي جمع، ولدى اخوتنا المسلمين ٩٩ اسمًا هي أسماء الله الحسنى، هذه الأسماء لا يجب أن يكون من بينها اسم الواحد؛ لأن ذلك، وإن كان يعدِّل مسار الوعي، إلَّا أنه يحذف تعدُّد صفات الله، ولذلك –في الأسفار اليهودية والمسيحية– لم يقُل الله بنفسه «أنا واحد»، بل حذَّرنا الأنبياء من أن نقول إن الله أكثر من واحد.

سامي : أنا لم أفهم بعد سبب اعتراضك على أن الله لا يمكن أن يقول «أنا واحد».

جورج : لأن الواحد هو تعبيرٌ مبهم غامض، لا يساعد الوعي الإنساني على فهم حقيقة الوجود الإلهي الكامل الذي إذا وُصِفَ بكلمةٍ أو أكثر، تكون هذه الكلمة أو كل الكلمات، موجَّهةً لعقل وقلب الإنسان.

سامي : إذن لا توجد مشكلة في أن نقول إن الله واحد.

جورج : بل، توجد عدة مشاكل، وأول هذه المشاكل هو غموض العبارة؛ لأنها جاءت من الصراع مع الوثنية، فهي سلبية. وثاني هذه المشاكل أنها لا تضيف إلى معرفتنا بحقيقة الله أي شيء يمكن أن يُوصَف بأنه إيجابي. وثالث هذه المشاكل، وهو لُب ما أريد أن أُشاركك فيه، هو أنها لم تصدر من الله نفسه؛ لأن الله عرَّفنا بذاتهِ بأُسلوبٍ آخر. وهو أنه الآب والابن الروح القدس.

سامي : إنك مخادعٌ؛ لأنك قد سُقتني إلى هذا الاتجاه.

جورج : أنا لست مخادعًا، بل أُريد أن أُعرِّفُكَ بالله الذي تعرَّى من كلِّ مجدٍ وعزةٍ، ووقف أمام الإنسانية عاريًا عندما أرسل ابنه الوحيد، وعندما أرسل الابنُ الروحَ القدسَ بعد ذلك إلينا. هذه هي «الوحدة». التوحيدُ عندنا هو حركةُ استعلانٍ؛ لأنه ليس توحيدًا لفظيًّا صادرًا من عقل وقلب الأنبياء، بل توحيدٌ حقيقيٌّ صادرٌ عن حركة الوجود أو الكينونة الإلهية. هو توحيدٌ مثلَّثٌ، أو هو

ثالوثٌ في واحد كما سبق وقلت.

سامي : أرى أنه من المناسب أن نقف عند هذه النقطة؛ لأنني أريد أن أهضم ما ذكرت، وأن أُناقِش هذا مع نفسي.
اعتذر عن استخدام كلمة مخادع، ولكن لديك نوع من المكر.

جورج : يجب التمييز بين المكر والحكمة. مِن الحكمة أن نشرح الحق، ومن المكر ما هو خداعٌ وتدليس، ونحن يا أخي نتكلم عن سر الوجود عن خالقنا، وحاجتنا إلى الحكمة أعظم.

(٣)

سامي : لا زلت أبحث عن فائدة هذا التعليم بأن الله هو الآب والابن والروح القدس. ذكرتَ أنه تعليمٌ عن المحبة، ولم ندخل في تفاصيل هذا الموضوع. فماذا تقول؟

جورج : كلُّ صفات الله هي صفاتٌ عن علاقة الله بالخليقة. كلها دون أي استثناء، ما عدا صفة المحبة.

سامي : كيف. اشرح من فضلك.

جورج : اللهُ قادرٌ وحكيمٌ وخالقٌ، بل حتى قدوسٌ وعادلٌ، إلى آخر كل هذه الصفات الحلوة والحسنة. هي صفات تشرح كيف يتعامل الله معنا. أمَّا المحبة فهي تبين كيف يحيا الله حياته الخاصة به. حياته التي فيها محبة الآب للابن، والابن للآب، والروح لكلٍّ مِن الآب والابن. إذا جاز هذا الكلام، فهي تصف كيف يمارس الله محبته لكيانه الإلهي.

سامي : أنا أعترض. أنت إذن تقول إن الله يحب نفسه.

جورج : نعم. وما هي المشكلة في أن يحب الله نفسه؟ أنا ليس لديَّ مشكلةٌ؛ لأن المحبة هي استعلانٌ إلهيٌّ لنا عن حقيقة الكيان الإلهي. ألا نقول نحن «إن فاقد الشيء لا يعطيه»؟ إن كل صفات الله لها بصماتٌ في حياتنا الروحية والنفسية، وهي كلها انعكاس الوجود الإلهي علينا. ولكن صفة المحبة، هي كل ما في داخلنا، هي ليست عاطفةً ولا شعورًا. نعم، فيها العاطفة والشعور، ولكنها أيضًا قبول الإنسان لحياته، ومحبته لكيانه التي تعطي له العزة وتحرك كل قدرات الله.

سامي : يا صديقي أنت تتكلم عن البشر وليس عن الله.

جورج : نعم. أنت على صوابٍ بعض الشيء، لقد غاب من الوعي عندنا أن

الإنسان صورة الله.

سامي : هذا موضوع جديد لم يسبق أن تكلمت أنت عنه.

جورج : هذا صحيح، ولكن الإنسان له كيانٌ خاص يشبه الكيان الإلهي في المحبة؛ لأننا نحب أنفسنا، ومن محبة الإنسان لنفسه، بدون تطرُّف «النرجسية»، نصل إلى العطاء. نتذوَّق المحبة داخليًّا قبل أن نمارسها. هكذا الثالوث هو الأصل ونحن الصورة أو المثال: الآب يحب الابن، ويحب الروح القدس. هي علاقة المحبة. الله يحب ذاته وقد استراح في محبته لذاته، وأدخلنا إلى هذه الراحة.

سامي : يا أخي أنت تقفز من نقطة إلى أخرى، وأنا ليس لديَّ استعدادٌ مسبَق.

جورج : يا صديقي نحن لسنا في حربٍ ونزال، بل نحن نريد أن نكتشف حقيقة علاقتنا بالله. لو كان الله واحدًا فقط، فهو يحب نفسه، ولو كان ثالوثًا، فهو يحب ويعطي كيانه لآخر.

سامي : حسنًا. أنت تتكلم عن مُحبٍّ ومحبوب.

جورج : نعم. المحب هو محبوبٌ، والمحبوب هو مُحبٌّ، ولكن المحبة في الله ليست شعورًا، هي الأقنوم الثالث.

سامي : هل هذا شرحك أنت؛ لأنني لم أسمع هذا من غيرك؟

جورج : لا. هذا شرحُ بعض آباء الكنيسة: هيلاري – أوغسطينوس – مكسيموس المعترف – غريغوريوس أسقف قبرص، وفي الغرب ريكاردوس الفكتوريني.

سامي : كيف تصبح المحبةُ شخصًا أو أقنومًا؟ أنت لأول مرة تذكر كلمة أُقنوم.

جورج : هذا صحيح. الأقنوم هو كيان خاص معيَّن في الله. ولذلك، الآب يحب الابن؛ لأنه متمايز، ولكنه مساوي له. الروح هو المحبة، هو العطاء لكل ما في الثالوث، هو متأقنم، هو ليس صفات كما يقول البسطاء. لا يوجد في الله صفات، بل الأقانيم هي استعلان الله، ومن الأقانيم نعرف الصفات.

سامي : إذن، صفات الله تُدرَك من الأقانيم ككل، هذا ما أفهمه؟

جورج : نعم. لا يوجد كيان بلا صفات شخصية، حتى في الإنسان نفسه، فلا أمانة بدون أمين، ولا محبة بدون محب.

(٤)

سامي : ماذا يحدث لو حذفنا الأقانيم؟ هل يصبح إيماننا بالله عاطل؟

جورج : بكل تأكيد؛ لأنك سوف تعود إلى الإيمان بالواحد «المُبهَم»، أو «الغامض» الذي لم يعلن عن نفسه.

لكي تقوم علاقة حقيقية بيننا نحن البشر، فإننا لا نستطيع أن نتعامل إلَّا مع أشخاصٍ نعرفهم ونكتشف علاقتهم معنا من خلال التواصل: الحوار والحياة المشتركة.

سامي : إذن أنت تقول إن الأقانيم الثلاثة هي استعلانٌ عن الله، كشفٌ للوجود الإلهي. هل أنا أدركت ما تقصده؟

جورج : بكل يقين.

سامي : إذن لماذا ثلاثة؟

جورج : نحن لم نختَر الثلاثة، ولكن الله أعلن عن ذاته في الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. أعلن الآب عن نفسه كمصدر، وعن الابن كاستعلان عمله الخالق، وعن الروح عن سكنى الله في البشر. الله الآب يخلق بالابن، والابن يعلن الآب، والروح يسكن فينا لكي يعطي لنا –بالحياة المشتركة بيننا وبين الثالوث– معرفة اختبارية عن الحياة الإلهية.

سامي : لكن كان من الممكن أن يكون الآب وحده هو مانح كل هذه؟

جورج : نحن أمام العطاء الإلهي المطلق؛ لأن الآب صار للكل، والابن أعطى البنوة للكل، والروح أعطى البقاء والاستمرار في البنوة. الآب ليس أُقنومًا يقف بعيدًا عنا، بل أرسل الابن لكي نعرف أنه الآب، وأنه «أبونا الأبدي»، ثم أرسل الابن لكي ننال فيه وبه البنوة، ثم أرسل الابنُ الروحَ القدس إلينا لكي

يعلِّمنا أنَّ ما نناله هو كمال الشركة في الحياة الأبدية؛ لأن الله الثالوث كله -إذا جاز التعبير- يشترك كله بكماله ولا يترك أقنومٌ ذاته بعيدًا عن الشركة. وعندما نقول إن الآب أعطانا البنوة في الابن، فهذا يعني أن الآب صار هو أبونا. وعندما نقول إن الابن أعطانا الروح القدس، فهذا يعني أن هذا العطاء تم فيه هو وليس عطاء منفردًا؛ لأنه لا يوجد استقلال للأقانيم، بل كل أقنوم يعمل مع الأقنومين الآخرين. هكذا «كمال» العطاء الإلهي هو سُكنى الروح القدس فينا، والكمال هنا يعني أننا ''انغمسنا'' كاملًا في المحبة الكاملة للثالوث.

سامي : هذا يكفي الآن.

(٥)

سامي : إذن. مما سبق أنت ترى أن عدم الإيمان بالثالوث، أي بالأقانيم، هو إيمان بالله المجهول.

جورج : هذا قريبٌ جدًا من الواقع الإنساني. كلُّ وصفٍ لأي أمر من الأمور لا يعطي شركة؛ يصبح وصفًا عقيمًا. على سبيل المثال، لو قلنا إن الله «رحيمٌ»، دون أن يكون لدينا تعليم عن عطاء الرحمة الإلهية، ولا تأكيد على أن الرحمة عندنا نحن البشر هي شركة في رحمة الله. هذا ما قاله معلِّم الحياة: «كونوا رحماء كما أن أباكم السماوي هو رحيم»، «كونوا كاملين كما أن أباكم السمائي كامل». يمكنك أن تصف الله بما تشاء، ولكن إذا لم يكن هذا الوصف له علاقة يجسِّدها، فإن هذا الوصف يُبقِ الله مجهولًا وغامضًا، ويترك الإيمان بالله لمجال اللاوعي.

سامي : حسنًا. إذن، الآب والابن والروح القدس، وصفٌ لإله واحد. ولكن أنت لم تذكر لي كيف يبني علاقة خاصة بيننا وبين الثالوث؟

جورج : سؤالٌ جيد. هذه العلاقة –يا أخي الكريم– ليست علاقة لفظية وكلامية مبنية على حوار وصداقة حوار، بل هي علاقة كيانية مبنية على تناغم بين كيان الإنسان والكيان الإلهي.

سامي : اشرح – من فضلك.

جورج : الإنسان له كيان خُلق أصلًا للشركة، ليس بالولادة والزواج، بل لأنه ينمو ويتطور بما يأخذ ويعطي. حركة الأخذ والعطاء هي حركة النمو الإنساني. هكذا علَّمنا الثالوث أن الابن يأخذ كيانه من الآب لكي يقدِّم له الخليقة، والروح يأخذ حياة الابن المتجسد ويقدمها لنا لكي نعود نحن به وفيه للآب وبالابن. من هذا نتعلم.

سامي : أرجو المزيد من الإيضاح.

جورج : نحن ننال عطية التبني. هذه ليست كلمة. بل هي اتحادنا نحن المخلوقين من العدم أبناء اللحم والدم لنكون فعلًا وكيانيًّا أبناء الله خالدين وأحياء حسب الحياة الإلهية. لذلك يتجسد الابن لكي نرى فيه البنوة، ولكن بعد أن نرى البنوة يبيد الابن موانع التبني: الخطية والموت والاغتراب والجهل عن الله. وهنا يوحِّدنا الابن به بعد أن أخذ كياننا الإنساني واتحد به، وبذلك ينقلنا إلى حياته الإلهية، فاتحًا لنا ذات العلاقة الخاصة التي له مع الآب. ولاحظ أننا نحن كبشر، لدينا هذا الحِس؛ لأننا نولد ونتزوج، وعندما نولد ونتزوج وننجب، يشاركنا الأبناء الحياة التي لنا، فنصبح نحن آباء بعد أن كنّا أبناء، وهكذا ينمو فينا «حِس الأخذ» من «الوالدين» إلى «حِس الأخذ» من الثالوث. وبعد أن يعطي لنا الابن شركة في علاقته مع الآب، يعطي لنا الابنُ الروحَ عطية الآب، وهو عطية قبولنا في الشركة، ولذلك قيل لنا إن الروح القدس هو «روح الابن»، أو «روح التبني»؛ لأننا عندما نأخذ الروح القدس عطية الآب لنا في الابن، فإننا نكون قد دخلنا شركة كيانية حقيقة في كيان وحقيقة الثالوث.

سامي : الروح القدس دوره غامض بعض الشيء. هل توافقني؟

جورج : لا. ولكن الغموض له سبب واحد، وهو ندرة التعليم عن الروح القدس.

سامي : إذن، ماذا يمكن أن تقول لأن الآب والابن يعطي التبني، هذا سهل، لكن ما هو دور الروح القدس سوى أنه –كما ذكرت سابقًا– يكمِّل «دائرة المحبة الإلهية؛ إذ لا يقف غريبًا أو بعيدًا».

جورج : الروح القدس هو الذي خلق ناسوت الابن، ثم مسحه في الأردن، ثم خدم معه في خدمته قبل الصلب، وصُلِبَ الابن يسوع الممسوح بالروح؛ لأن الابن الكاهن العظيم قدَّم جسده ودمه الذي خلقه الروح القدس على الصليب للموت لكي يبيد الموت، ولذلك أقامه الروح القدس في اليوم الثالث. وحتى لا نعود إلى أسر الشريعة وعبودية الحرف، كل تدبير الابن يوزِّعه علينا الروح

القدس، فهو خادم الخلاص لأنه «الرب المحيي». فنحن لا ندرس قصة ولا نسمع خبرًا، بل ننال البنوة فعلًا لا قولًا فقط، وننال هذه العطية من الآب ذاته في الابن بالروح القدس. وقولنا بالروح القدس هو الذي يرفع الإدراك إلى الجانب السمائي ويثير الحس. تُرى هل أجبت عليك؟

سامي : في الوقت الحاضر نعم.

(٦)

سامي : لا زلت أشعر بالحيرة كلما فكَّرتُ في أن الواحد هو أيضًا ثلاثة.

جورج : هل تعرف السبب؟

أنت لا تشعر بالحيرة لأن لك أعضاء كثيرة في جسدك، وشعورك بأنك حيٌّ لا يجعل تعدد الأعضاء يُفقِدك الشعور بأنك واحد.

سامي : هذا صحيح، ولكنك أنت تصف الكائن الحي الواحد المتعدد الأعضاء، ولكن عندما أجد نفسي في مواجهة مع الله المثلث، أجد حيرةً لأنني مع مَن من الثلاثة أتكلم؟

جورج : عندما تشرب، فأنت تشرب ولا تفكر إلَّا في الارتواء. وعندما تسير، فأنت تظل تسير إلَّا إذا تعبت، عند ذلك تفكِّر في رجليك. أعني أن العمل والفعل الواحد الذي تقوم به أعضاء الجسد المتنوعة لا يجعلك تفكر بأن فمك هو الذي يشرب، أو أن رجليك هي التي تسير. هكذا عندما نشترك في حياة الثالوث، فهي حياة واحدة. أيٌّ من الأقانيم حالٌّ فيه حلولًا كاملًا الأقنومان الآخران. هكذا سلَّمنا الرب يسوع نفسه هذه الحقيقة. الثالوث هو حلول كل أقنوم في الآخر، ولذلك عندما تصلي، أو تطلب سُكنى الروح القدس حسب صلاة الكنيسة: «أيها الملك السمائي المعزِّي روح الحق الحاضر في كل مكان .. هلم تفضَّل وحِل فينا»، فإن حلول الروح القدس هو حلولٌ للآب والابن؛ لأن الثالوث لا ينفصل ولا ينقسم.

سامي : أين تعلمت هذا؟

جورج : من حياة الرب يسوع المسيح نفسه، ومن صلاته للآب في (يوحنا ١٧) وغيرها، لكن الدرس الحقيقي المستعلَن في يسوع هو المحبة الثالوثية التي لا تنقسم. فحيثما يعمل الابن يعمل الآب في الابن، وحيثما يعمل الروح يعمل

الابن والآب أيضًا.

مررتُ أنا نفسي في بداية الإيمان بنفس الحيرة، ولكن عندما أدركتُ أن للثالوث حياة واحدة توقَّفت هذه الحيرة وزاد اهتمامي بالحلول الأبدي الذي عبَّر عنه إنجيل يوحنا بأن الابن «الذي في حضن الآب» جاء وأعلن لنا الآب.

سامي : إذن أنت تقول إنه إذا كنتُ أُصلِّي للآب، فأنا أُصلِّي للابن، أو أُصلِّي للابن أُصلِّي للروح والآب أيضًا؟

جورج : نعم بكل يقين. هذه ليست فقط مسألة إيمانية بالواحد المثلث الأقانيم، بل هي من واقع استعلان التدبير الخاص بالخلاص. الآب أرسل الابن (يوحنا ٣: ١٦). وهو بذلك لم ينفصل عن الآب. فِعل «أرسل» يدل على الإرادة، وهي إرادة المحبة: «هكذا أحب الله العالم»، والابن طلب من الآب أن يرسل الروح القدس باسمه، أي في أو بواسطة شخصه، وسبق للابن أن مُسِحَ بالروح القدس عندما تجسَّد، ونال المعمودية، ومُسح لأجلنا لكي ننال نفس الروح الذي مُسح به يسوع. وإرسال الروح معناه تخصيص الإرادة الإلهية لعطية المحبة الإلهية (رو ٥: ٥)، إذن نحن أمام حركة محبة الله نحونا، وهي حركة واحدة لحياة واحدة.

سامي : أنا لم أسمع من قبل عن «حركة»، فكيف يتحرك الله وهو الأبدي غير المتحرك؟

جورج : إنها ليست حركة انتقال من مكان لآخر؛ لأن هذا خاصٌّ بالأجساد وبالمخلوقات، ولكنها حركة حياة مثل دقات القلب في جسم الإنسان، أو مثل الدورة الدموية في جسم الإنسان. هي حركة داخلية.

سامي : إذن نزل من السماء هي ...؟

جورج : هي حركة تنازل من المستوى السمائي إلى المستوى الإنساني.

سامي : كيف كانت هذه حركة داخلية –كما ذكرت أنت– وصارت معلَنة؟

جورج : هي عطاء الآب لنا في محبته، إذ أعطانا حياة ابنه، هذه هي حركة المحبة الإلهية، وصارت معلَنة لنا بالتجسد. الله متحرك دائمًا حركة داخلية.

سامي : إذن، ما هي أهم حركات المحبة الثالوثية؟

جورج : هي العطاء الغير المشروط، وهي مستعلَنة في تنازُل الابن وتجسده وصلبه وموته وقيامته، ثم تنازُل الروح القدس لكي يسكن في قلوب البشر إلى الأبد.

سامي : هذا بدوره جديدٌ بالنسبة لي، ولكن ما هو تنازُل الآب؟

جورج : الآب في محبته غير المشروطة الباذلة أعطانا حياة ابنه، وهو كما يسميه الرسول بولس «ابن محبته»، فقد قدَّم لنا حياة الابن تقدُمةً غير مشروطة.

سامي : إذن الآب لم يضحِّي؟

جورج : التضحية خاصة بالثلاثة: عندما قدَّم الآبُ الابنَ، فقد قدَّم أيضًا ذاته في الابن، وفي الابن بالذات لكي ننال نحن أعظم عطية، وهي التبني؛ لأن المحبة الإلهية محبة هادفة وليست عمياء. عندما يعطي الآبُ الابنَ لنا، فهو لا يعطي آخر منفصلًا عنه، بل الذي «في حضنه»، وفي صلاة القسمة في كنيستنا نقول: «الذي في حضنه الأبوي كل حين»، هذه هي تقوى الأرثوذكسية.

سامي : إذن ملخص لأهم ما قيل: الثالوث ضروري لفهم محبة الله.

جورج : جيد جدًا.

سامي : الثالوث هو أساس فهمنا لحياة الشركة ولنوال الخلاص.

جورج : ممتاز.

سامي : الثالوث هو أقانيم، أي كل أقنوم هو «تعيين» في الذات الإلهية، وكل أقنوم يعطي لنا عطية خاصة من كيانه.

جورج : يجب أن أُضيف هنا يعطي لنا عطيةً خاصةً تميِّزه كأُقنوم مثل البنوة من الابن، والتقديس من الروح القدس.

سامي : لم تذكر التقديس من الروح القدس. ما هو؟

جورج : هذه الكلمة «التقديس»، نالت أسوأ تفسير، لأنها ليست الحياة بلا «خطية» كما هو شائع، بل هي الحياة الفريدة الخاصة المتمايزة. الروح يعيد لنا الخصوصية التي فقدناها بالخطية، والله قدوس يعني أنه فريدٌ لا مثيل له، وقدوس، أي لا يستمد خصوصيته من آخر. وعندما نتقدس، نأخذ خصوصيتنا الجديدة المفتداة من الله بالروح القدس لنكون قديسين.

(٧)

صديقنا سامي عَبرَ من عنق زجاجة شهود يهوه إلى آفاق الدراسة والفهم، وكان لكتاب الإيمان بالثالوث لأستاذ اللاهوت السابق توماس تورانس تأثيرٌ كبيرٌ على فكره، ولكن كما هي العادة، يتابع أعضاء جماعة شهود يهوه الذين انضموا إليهم بمزيد من حملات شك تبدو أكاديمية معقولة. فقد مررت بالأخ سامي في المنطقة التجارية حيث يعمل، وبدا مهمومًا، وبعد السؤال عنه، قدَّم لي كتابًا صدر عام ١٩٤٠ بعنوان «الإله الحقيقي» يسخر فيه المؤلف من عقيدة الثالوث، ويضع أمام القارئ أهم افتراض كان سببَ «سجسٍ» للأخ سامي، وهو استعمال كلمتي «جوهر» و «أقنوم»، طبعًا باللغة الإنجليزية، وجادت قريحة المؤلِّف بأن الكلمتين جوهر οὐσία وأقنوم ὑπόστασις جاءت من المصادر اليونانية الوثنية، ولا وجود لهما في العهدين.

جورج : أريد أن أتقابل مع مُدرِّسك لأنه يكذب عليك. أولًا لأن الكلمتين وردت كل منهما في الترجمة السبعينية للعهد القديم، وهي نص الكتاب المقدس الذي يقرأه يهود الشتات.

وإذا رجعت إلى Hatch and Redpath في مجلد بعنوان Concordance to the Septuagint الطبعة الثانية (١٩٩٨)، ستجد كلمة جوهر ص ١٠٣٥ وردت في ترجمة كل من أكويلا وسيماخوس وثيئودوس في نص مزمور ١٠٦: ٩، وأرميا ٤٨: ٥.

أمَّا الكلمة الثانية أقنوم ὑπόστασις فقد وردت في العبرانيين ١: ٣ بذات المعنى الشائع في الكتابات اللاهوتية، بل وردت أيضًا في النص اليوناني (٢كو ٩: ٤ – ١١: ١٧ – عب ٣: ١٤). وعندما يقول الرسول بولس إن الإيمان هو جوهر، أو له كيان أو وجود هو الثقة، فقد استخدم كلمة «هيبوستاسيس – ὑπόστασις». ويمكنك مراجعة قاموس Bauer ص

٨٥٤. ولكن أنا لديَّ سؤالٌ هذه المرة: هل يؤمن جماعة شهود يهوه بتجسد اللوغوس Logos لأن **التجسد يعني تاريخيًّا أن كل لغات العالم يجب أن تُستخدَم للكلام عن الله الظاهر في الجسد.**

سامي : هم لا يؤمنون بالتجسد. والعارف لا يُعرف.

جورج : هل تعرف أن اسم Jehovah حسب اللغة الانجليزية، هو غير صحيح، والأصح هو «ي هـ و هـ»، أي يهوه، وعندما كان أي يهودي تقي يقرأ الأسفار المقدسة كان ينطق الاسم «أدوناي»، ولا زال حتى اليوم عند تحية يهودي لأي يهودي آخر يقول له «بارخ هاشم»، أي بارك الاسم، و«أدوناي» تُرجمت في السبعينية إلى Kyrios حسبما وردت في أقدم نسخ صارعت الزمان من الترجمة السبعينية أيضًا.

لماذا البحث في الأسماء، وتحديد الإيمان الحق بالاسم العبراني وحده؟

سامي : بصراحة لا أعرف إلَّا سببًا واحدًا، وهو أن الأسفار المقدسة كُتِبَت بالعبرانية.

جورج : هذا غير مقبول؛ لأن الرب يسوع يقول: «تلمذوا جميع الأمم» (متى ٢٨: ١٩) وهذا لا يعني بقاء التعليم عبرانيًا. ثم لماذا ترك شهود يهوه عيد العنصرة الذي تكلم فيه الآباء الرسل بكل اللغات بما فيها العربية (أع ٢: ١١)؟ هل من الصواب حصار عمل الروح القدس في اللغة العبرانية؟ لماذا ترجم شهود يهوه الأسفار كلها في ترجمة إنجليزية خاصة بهم مشحونة بالأخطاء؟

سامي : أنا في الواقع لم أنتبه إلى أهمية العنصرة حتى ذكرته أنت.

جورج : كتاب «الإله الحقيقي» كتابٌ رديءٌ جدًا، والكاتب مثل الكاتب الآخر الذي ألف «ليكن الله صادقًا»، يبدو لي من دراسة الكتابين معًا وغيرهما من كتب شهود يهوه، أن عقائد المسيحية الأساسية غابت تمامًا من وعي هؤلاء وهي: تجسد الكلمة – سُكنى الروح القدس – سُكنى المسيح فينا بالروح القدس.

كذلك لا يوجد تعليم يستحق كلمة تعليم عن العشاء الرباني، أو عن الولادة الجديدة. وغياب هذه العقائد هو سر ذلك الهجوم العنيف على عقيدة الثالوث؟

سامي : كيف؟

جورج : التجسد أعلن لنا بنوتنا للآب، ولذلك كان الإعلان هو عن بنوة في الآب نفسه. البنوة ليست كلمة تقال، بل هي حقيقة كيانية تعبِّر عنها الكلمة، ثم هي تخصيصٌ في الحياة الإلهية. هي ما سُمِيَ «ὑπόστασις – هيبوستاسيس»، أي أقنوم. ثم سُكنى الروح القدس فينا. هذه السُّكنى أو الحلول هي التي تجعلنا نعيش الحياة الإلهية.

سامي : ذكرت أن المسيح فينا بالروح القدس. أنا لازلت متحيِّر. لماذا هذا التعقيد؟

جورج : هذا ليس تعقيدًا بالمرة، ولكن أنت تستطيع أن تكتب بيد واحدة على الآلة الكاتبة، أو اللاب توب وتستطيع تكتب بيديك الاثنتين. الروح القدس يقدِّم لنا المسيح؛ لأن الثالوث كله يُشركنا في حياته، والأقانيم الثلاثة معًا تعطي لنا هذه الشركة.

سامي : طيب. وماذا عن الآب؟

جورج : الآب هو غاية أو هدف اشتراكنا في الحياة الإلهية. نحن نأخذ التبني بعد أن كنا عبيدًا من الآب في الابن، والذي يقدِّمنا إلى هذه العطية، أي عطية شركة الحياة، هو الروح القدس. غاية أو هدف كل شيء هو أبوة الله الآب لنا؛ لأننا فيه ومنه أخذنا بداية وأصل وجودنا، ومنه وفي الابن، ارتفعنا من الحياة البيولوجية الفاسدة القابلة للموت إلى حياةٍ أعظم، وهي حياة الخلود التي ننالها كاملة في يوم القيامة.

سامي : ما هو إذن عمل الروح القدس؟ لا يكفي أن تقول إنه يقدسنا. هل يفعل أكثر من ذلك؟

جورج : بكل تأكيد هو يقدسنا – ولن تجد عند شهود يهوه، أو حتى الإنجيليين

أي تعليم حقيقي عن التقديس. نحن نتقدس، أي يعيد إلينا الروح القدس ما هو خاص بكل شخصٍ منا. نتحول بالروح القدس من أفراد إلى أشخاص.

سامي : على مهلك. ما هو الفرق بين الفرد والشخص؟

جورج : فرقٌ جوهري، وهنا لعلك سمعت أنني استعملت كلمة جوهري، أي فرق حقيقي؛ لأن الجوهر هو حقيقة الوجود، أعني أحد معاني الكلمة. الفرد هو كيانٌ بلا علاقات ينمو منفردًا بلا شركة، تغلبه نزعة الانعزال، ولذلك لا ينمو ولا يتطور. الفرد هو الأناني الغير القابل للنمو، أما الشخص، فهو الفرد عندما ينمو ويصبح له ما يميزه من صفاتٍ حسنة أو حتى شريرة، له كيانٌ خاصٌّ متمايز، وهو أي الشخص صورةٌ أرضيةٌ كاملةٌ للأقنوم الإلهي؛ لأن الأقنوم ليس فردًا يحيا في عزلة: «في البدء كان اللوغوس، وكان اللوغوس عند الآب»، أو مع الآب، في شركة مع الآب كما ذكر إنجيل يوحنا (١: ١-٣).

سامي : لنعد إلى موضوع الروح القدس.

جورج : بكل سرور. يعطي لنا الروح أن نسترد خصوصية كل منا؛ لأن هذا هو التقديس، وهذه الخصوصية تُسترد بالشركة في حياة الابن. المسيح يسوع فيَّ وفيك. ولكن هو شركة خاصة. الحياة واحدة، والهبة واحدة، والنمو مختلف، فالروح يقدِّم لنا معرفةً روحيةً بالرب يسوع لكي لا نعثر بسبب تجسده وموته، هذه المعرفة تُوصف بأنها استنارة ويعطي لنا أن نتقدم بمنطق المحبة.

سامي : ما هو منطق المحبة.

جورج : تجده كاملًا في (١ كو ١٣: ١-٨). هو دستور المحبة الحقيقية الذي لا يجب أن يختلط بالمحبة كمشاعر وعواطف. **هو قناعة داخلية بالشركة ورغبة في أن نعيش للمسيح لا لأنفسنا**. عندما قال الرسول بولس: «مع المسيح صُلبت» كان يقصد أن كل المُثُل العليا للعالم، ونظريات العلاقات الاجتماعية معًا، وهو شيءٌ عظيم وثمين، لكنه أصبح بلا قيمة؛ لأنه يقول بعد ذلك: «العالم قد صُلِبَ لي وأنا صُلبتُ للعالم». لا يوجد لدى بولس

إلَّا منطق المحبة، وهو بذلُ الذات؛ لأن **جذر الخطية هو البحث عن الخلود في المقتنيات، وفي كلام المديح، وفي الشهرة، وفي الجنس، وحتى العنف الدموي هو صورة للذات التي تألَّهت، وصارت تبحث عن ذاتها بالقتل والعدوان.** فالروح يعين ضعف الإنسانية التي تريد الخلود الذاتي من الجسد ومن مُثُل العالم، أي الحياة الاجتماعية، لكي تقبل الصَّلبَ مع المسيح، أي ترك الذات والاتحاد بالمسيح. بدون الروح القدس لا حياة لنا، بل **الموت الحقيقي، وهو انحصار الذات في الذات، وانعدام القدرة على العطاء، أو حتى بذل الذات.** بالروح القدس يدخل المسيح المصلوب والحي فينا لنسلك بالمحبة حسب كلمات الرسول بولس في (١كو ١٣: ١ وبعده): لا نقبِّح لأننا نسعى وراء الرحمة الإلهية. لا نتفاخر لأننا لم نصل للنعمة بقوتنا الذاتية. لا نطلب الشر للآخرين. لا نقبِّح حتى إذا رأينا القبح والخطية؛ لأننا لا نملك أن نهين خليقة الله الآب. ولعل «**المحبة لا تطلب ما لنفسها» هي تحوُّلنا من أفراد إلى أشخاص.**

سامي : لقد درست كتاب د. توماس تورانس جيدًا، وأنت أشرت إلى ترجمة عربية صدرت في القاهرة، هل لديك دراسات أخرى؟

جورج : نعم أُشير عليك باقتناء المجلدات الخمسة للأب الأرثوذكسي Dumitru Stanlioae والمجلد الأول عن استعلان ملكوت الله والله الثالوث.

سامي : إذن الإيمان بالأقانيم هو ضروري لفهم علاقتنا الجديدة بالله.

جورج : نعم، لأننا ندخل أعماق الحياة الإلهية بواسطة الوسيط يسوع المسيح ربنا، وفيه ننال التبني، ومنه نقبل الروح القدس. ذات الروح الذي كوَّن إنسانيته في البتول مريم أمنا الطاهرة هو الذي يكوِّن كياننا الجديد.

سامي : لكي لا أقع في الحيرة من جديد، فأنا أُصلِّي للآب، وهذا يعني أنني أُصلِّي للابن والروح، أليس كذلك؟

جورج : نعم. هذه الحيرة ستدوم معك بعض الوقت؛ لأننا نحب الانفراد، ولا نأتي

إلى الشركة والعطاء بسهولة، ولذلك نحتاج للروح القدس. لقد تعوَّدنا على فهم ومخالطة الفرد، ولذلك تجد قوة الشركة عندنا ضعيفة. الثالوث شاركنا حياتنا لكي نشاركه حياته. سوف يأخذ هذا بعض الوقت، حتى ينير الروح القدس فكرك، وعندئذ سوف ترى بنوتك في الابن، وقوتك من الروح، وغاية وجودك في الآب.

سامي : لا بُد من لقاء آخر.

جورج : بكل تأكيد، ربما بعد عيد تجسد الرب. وبالمناسبة كل سنة وأنت طيب. لاحظ أنه ليس عيد ميلاد طفل اسمه يسوع حسب التقوى الشعبية، ولكن عيد تجسد الله.

(الحلقة الثانية)

(١)

الثالوث القدوس ممارسة أبدية

عاد صديقي سامي إلى موضوع الثالوث القدوس؛ ليسأل عن الممارسة، وليسأل سؤالًا هامًا: هل يصبح الثالوث أساسًا للتعامل لفهم الحياة الإنسانية؟

كنا نجلس في مقهى عام في يوم السبت ٢١ ديسمبر ٢٠١٤، وكان سامي يظن أن عقيدة الثالوث هي مجرد فكرة عن الله، وأن الجانب العملي -كما قال هو- هو استعلان محبة الآب لنا في الابن.

سامي : حاول أن تشرح لي الثالوث -الآب والابن والروح القدس- كأساس للتعامل مع البشر.

جورج: سؤالٌ جيد جدًا. الجوهر ما هو عام، والأقنوم ما هو خاص. نحن نحب البشر محبة عامة ومطلقة؛ لأنها عطيةُ الله. أمَّا محبة كل شخص، كما قال الرب يسوع نفسه: «كما أحببتكم أنا»، فهي المحبة الشخصية أو الأقنومية، محبة اللقاء الشخصي، وليست المحبة بشكل عام. فالعام مثلًا، أن نحب كل النساء، أولًا لأنهن بشر، ومحبة البشر محبة عامة، أما محبة الزوجة، أو الأخت، فهي محبة خاصة. المرأة إنسان يُحب كأي إنسان. نحن لا نرى المرأة أولًا، وانما نرى الإنسان، وبعد ذلك، المرأة. هذه المحبة العامة التي هي للكل هي مثالٌ لِمَا هو عام في اللاهوت، أي الجوهر الواحد العام، ولكن بعد محبة ما هو إنساني، توجد محبة خاصة. هذا تطبيقٌ عملي. العام، هو عامٌ عند الكل، ومن العام نتعلم الخاص.

سامي : لماذا لم أسمع هذا من قبل؟

جورج : لا أدري. لكن أنا تعلَّمت هذه الحقيقة من العهد الجديد نفسه. كيف تقرأ العهد الجديد؟ هذا ضروري.

نموذجٌ آخر، وهو الكنيسة. بشكل عام، هي جسد المسيح، ولكن يوجد وجود خاص لكل عضو حسب (١كو ص ١٥). ما هو عام لا يلغي، ولا يحل محل ما هو خاص، كما أن ما هو خاص لا يلغي ما هو عام. أنت عضوٌ في هذا الجسد، ولذلك، المحبة هي لكل الجسد، والتعامل هو مع كل عضو حسب مستوى العلاقة، لكن حتى مع عدم وجود علاقة شخصية نحن نحب كل الجسد.

سامي : ممتاز. هل يوجد تطبيق آخر؟

جورج : نعم، في الصلاة. نحن نصلِّي في الابن الوسيط، أي في الأقنوم الثاني؛ لأنه رأس الجسد الواحد، ونحن بهذا ندخل الحياة الإلهية؛ لأن الصلاة ليست مجرد حديث مع الله –كما يقول التعليم الشعبي– بل هي حياة شركة. وعندما نصلِّي، فنحن نطلب ما هو خاصٌ بنا، ولكن في أغلب الأحيان، تكون الاستجابة هي من أجل الحياة العامة الجامعة للكل.

ما هو عامٌ هنا، هو حياة الجماعة الواحدة التي تحتاج إلى شفاء عضو، أو نجاة عضو من شرٍّ ما، أو انسكاب عطية روحية معينة مثل الوعظ لكي يتعلم الكل، أو الجماعة، أو أعضاء الجسد أسرار الله. وعندما نصلي في الابن الشفيع، ورأس الكنيسة، فهذا ينقلنا إلى الحياة العامة الجامعة المشتركة للآب والابن والروح.

سامي : إذن، الصلاة للرب يسوع تجوز؟

جورج : نعم، بل ومطلوبة، طالما أننا نحيا للاتحاد به؛ لأننا عندما نتَّحد بالرب يسوع، فنحن نتَّحد بالآب أيضًا بقوة الروح القدس وعمله فينا، فهو يقودُنا منيرًا إيَّانا لكي نتَّحد بالابن، ولكي من الابن نقبل الروح باسم الابن، وبقبول الروح من الابن، نستقر في الآب.

سامي : آه، دخلنا في العميق.

جورج : نعم. ولكن الضجة هنا شديدة، يجب أن نكمل الحوار في مكان آخر.

انصرفنا دون موعد.

(٢)

مضى على الحوار الأول ساعة تقريبًا، وكنت لا أزال في المنطقة التجارية. كان أهم ما يزعج سامي هو كلمة «أقنوم».

سامي : حاول أن تشرح لي كلمة «أقنوم» شرحًا عمليًا. أقصد شرحًا أستفيد منه في علاقتي مع الله، وفي حياتي الشخصية؟

جورج : «الأقنوم» هو وجودٌ يتكامَل بالشركة. هو كيانٌ خاص غير منغلق، بل يجد كماله في الآخر، ليس لأن به نقصًا، بل لأن الكمال –حسب تعليم الأرثوذكسية– هو «تحقيق»، أو «الوصول» في حركة الحياة، إلى غاية.

سامي : هل يمكن أن تقدم أمثلةً، أو حتى مثلًا واحدًا لشرح ما تقول؟

جورج : نعم. لأن هذا سؤالٌ جيدٌ جدًا. أنت كائن، ولكن وجودك يفقد كماله إذا عشت حياةً منفردةً؛ لأنك تحتاج إلى غيرك، إلى المدرِّس الذي يُعلِّمك، والأب والأم اللذان يعولان حياتك، إلى العمال الذين يرصفون الطرق، إلى الفلاحين الذين يجعلونك تأكل، إلى البوليس الذي يحميك، وإلى الأطباءِ الذين يساعدونك على التغلب على الأمراض. أنت بدون هؤلاء لا حياة لك في المجتمع، ولا تستطيع أن تعيش.

سامي : لكن هل هذا ينطبق على الله؟

جورج : لا. لقد أردت مثلًا، وقدَّمتُ لك المثل. أما بالنسبة لأقنوم من أقانيم الثالوث، ولنأخذ مثلًا الروح القدس؛ لأن التعليم عن الروح شحيحٌ جدًا. الروح القدس أقنوم له وجوده أو كيانه الخاص، ولكنه يأخذ كمال وجوده، أو كينونته من علاقته بالآب وبالابن.

سامي : اشرح أكثر لو سمحت.

جورج : الكيان المنغلق هو كيانٌ ميت، هو كيان لا يعرف المحبة. المحبة هي حركة كيان الله، والإنسان مخلوق على صورة الله. ولذلك، فالروح القدس ينبثق من الآب لكي يسكن أو يحل في الابن، ومِن الابن نحن نأخذ الروح القدس. هذه حركة محبة الله لنا. لا يوجد انغلاق كيان في الثالوث، بل عطاء وشركة. الثالوث هو شركة ثلاثة، كلٌّ يجد كماله في الآخر. والمقصود هنا تحديدًا، ليس نقصًا في كيان أيٍّ من هؤلاء الثلاثة، بل هو راحة ومسرة كل أقنوم في شركة. فالروح يأخذ كيانه من الآب، ويسكن في الابن، والابن يعطي الروح للآب، والآب يعطي كيانه للابن، وبالروح القدس تتم الشركة. هي مثل الدائرة، ولكنها ليست دائرة مغلقة، بل دائرة مفتوحة على الخليقة.

سامي : هذا كلامٌ صعبٌ عليَّ، ولكني سؤالي هو ما فائدة هذا بالنسبة لي؟

جورج : نحن ننتقل من العبودية للوجود البيولوجي الآدمي، إلى الوجود حسب نعمة التبني، أي أبناء الله. ليس فينا نحن البشر ما يجعلنا أبناء للآب؛ لذلك أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا صارخًا أبًّا أيها الآب (غلا ٤: ٤-٦)، فقد جاء الابنُ، وأخذ إنسانيتنا ووحَّدها بلاهوته؛ لكي يمنح لنا حق الدخول إلى «نعمة التبني»، ولكي «نقيم» في هذه النعمة (رو ٥: ٢). لقد مسح الروحُ يسوعَ وجعله المسيح؛ لكي يمسحنا نحن في المسيح، ولكي بالنعمة، ننطق بما في كياننا من «نقلة» من عبودية بيولوجية للطبيعة، إلى «حرية مجد أولاد الله».

سامي : جيد، وأنا أجد هذا له طعم العسل. لكن كيف يُعطى هذا بأقنوم أو أكثر؟

جورج : شكرًا جزيلًا. الأقنوم هنا، هو الابن؛ لأن العطية التي تعطى هي التبني بواسطة الابن. نحن نتكلم عن كيان تغيَّر من عبودية الطبيعة البيولوجية إلى حرية إلهية، حرية النعمة. والأقنوم الآخر هو الروح القدس الذي يأخذ من

الابن البنوة المستعلَنة في الجسد؛ لأن ابن الله هو المتجسد، هو المُعلِن الابن، والذي أرسل الآب روحه لكي يمسح الإنسانية فيه بمسحة الروح القدس. ولذلك يجب أن تسأل لماذا مُسِحنا بالروح القدس المنبثق من الآب (يوحنا ١٥: ١٦)؟ والجواب هو أن النعمة الإلهية تبني فينا شركة، وتعطي لنا شركة في شركة الثالوث. طبعًا «شركة الروح القدس» (٢كو ١٣: ١٤)، هي شركة الروح في الآب وفي الابن. ولذلك، عندما نقول إن عطية الروح القدس هي «سر التثبيت»، أي مسحة الميرون، فنحن نعتقد أننا قد ثُبِّتنا في التجديد إلى الأبد بانفتاح الكيان الإنساني الذي أغلقته الخطية على شركة محبة الثالوث.

سامي : جيد. لا بُد أن أعود إلى المتجر.

انصرفنا على أمل اللقاء.

(٣)

السبت ٣ يناير كان لقاءً هامًا مع الأخ سامي. لا زال يصارع داخليًا فكرة قديمة، وهي أن الجوهر والأقانيم الثلاثة موضوعٌ معقَّد لا يمكن فهمه، ولا يجب أن يصبح فكرنا الإنساني عن الله معقدًا بهذا الشكل.

سامي : لماذا التعقيد في موضوع هام، وهو الله. ألا يكفي أن الله واحد؟

جورج : أي علاقة حقيقية هي علاقة معقَّدة، وأي علاقة سطحية هي علاقة –حسب الرأي السائد– علاقة بسيطة. مثلًا، قبل الخطوبة كانت العلاقة عسل، وصارت أحلى بعد الخطوبة، ولكن بعد شهر أو ربما أكثر، دخلت العلاقة في الواقع الإنساني: اختلاف المزاج – العادات – والرغبات – والآمال، وأصبحت العلاقة تحتاج إلى بذل وفهم وتضحية وحكمة. وكلنا بعد الزواج بأيام قد تطول أو تقصر، اكتشفنا بسبب الشركة خفايا لم نكن نعرفها.

علاقتنا بالله الواحد علاقة لفظية سطحية. هو واحدٌ، وهذا حق يمنع الوثنية، ولكن بعد ذلك، ماذا بعد تجاوز الوثنية؟ ما هو التقدم الذي نحصل عليه من توحيد بلا ثالوث؟

سامي : أظن، أن تجنب الوثنية –كما ذكرت– هام وضروري. ولكن لماذا يجب أن تنمو العلاقة إلى ما هو أكثر من ذلك؟

جورج : الله ليس موضوعًا سلبيًّا. نحاول أن نحذِّر الناس من الابتعاد عن شر الوثنية بوضع توحيد سلبي، وهو إنكار وجود الآلهة باسم الواحد. هذا الإنكار جيد، ولكن لا يمكن أن يبني علاقة إيجابية. تأمَّل مثلًا لو قلت إن المصري ليس إنجليزيًّا، ولا هو أمريكيًّا وصمتُ بعد ذلك، ألا تجد أن تراث ٥ آلاف سنة من الحضارة، ومن مساهمة مصر، ومن الإنتماء لوطن عظيم وقديم، قد

ضاعت في ثنايا إنكار مَن هو المصري، بينما تعريف المصري بأنه من شعب بنى حضارة ويسكن في شمال قارة إفريقيا .. الخ يؤكد على مساهمة إيجابية.

سامي : هذا جيد لأنه عن أمثلة من الواقع، ولكن ما هي المساهمة الإيجابية لعقيدة الثالوث؟

جورج : توجد ثلاث مساهمات -إذا جاز القول- لعقيدة الثالوث، أو بالحري استعلان الله كثالوث في حياتنا:

أولا: استعلان المحبة الثالوثية المتبادلة والشركة لأقانيم الثالوث. المحبة هي حياة الله، ولذلك قال الرسول: «الله محبة»، وأضاف: «مَن لا يعرف المحبة لا يعرف الله» (١يو ٤: ٨). المحبة داخل الثالوث هي حركة حياة تشبه نبض القلب في الإنسان، طبعًا مع فارق كبير، وهو أن نبض القلب لا يصدر من الإرادة، بل يتوقف في حالات الجلطة. أمَّا المحبة، فهي حركة حياة وحركة إرادية وحركة شركة.

ثانيًا: العطاء الإلهي لهذه المحبة، فهو عطاءُ ذات المحبة. نحن نعطي المال والملابس والطعام، وأخيرًا في الطب الحديث، يوجد من يتبرع بإحدى كليتيه لمريض مصاب بالفشل الكلوي، ولكن لا يمكن لإنسان حي أن يتبرع بقلبه؛ لأن هذا يعني أنه يجب أن يموت حتى يعطي قلبه لآخر، لكن يا سامي، **الله يعطي حياته ومحبته لنا دون أن يعاني الموت**، بل إذا استطعنا أنت وأنا أن ندرس تدبير الخلاص، يمكننا أن نقول بكل ثقة إن الله أباد الموت الذي فينا وأعطانا القيامة. **الله يعطي ذاته، وهي عطية الحياة الأبدية التي تحول الإنسان الترابي من الأرض إلى إنسان سمائي حي إلى الأبد بفضل نعمة الحياة الأبدية التي أُعطيت لنا بالابن في الروح القدس.** وسوف نعود إلى هذه النقطة بالذات لاحقًا. لكن يهمني الآن أن أضع أمامك الجانب الثالث.

ثالثًا: أننا نتحول إلى صورة الثالوث نفسه، وهذا هو سبب خلقنا على صورة الله ومثاله. نحن مدعوين إلى أن نحيا حياة إلهية إنسانية مثل حياة الابن

المتجسد. أن نصبح مثل الله في المحبة وفي العطاء وفي الشركة، وأن نتشبَّه بالثالوث.

سامي : لقد أخذتني على غرة. أنت متمكن من إيمانك وأنا إنسانٌ حديث الإيمان. يا أخي هذه الموضوعات الثلاثة تحتاج لوقت للدراسة، لا يجب أن تباغت إنسانًا غير مستعد مثلي.

جورج : يا أخي نحن لسنا في حلبة مصارعة يجب أن تنتهي بفوز واحد وهزيمة الآخر. نحن نسير معًا لاكتشاف أعظم استعلان أُعطيَ للإنسانية، وهو حياة الله. أو الله كما يحيا حياته الإلهية، وهي حياة الآب والابن والروح القدس.

سامي : طيب. لازم نرجع لرأس الموضوع، وهو المساهمة الإيجابية.

جورج : جيد جدًا. ما أعظم الفرق بين الله كآب، والله كسيد. بين أن تكون أنت ابنًا، وأن تكون عبدًا. أيهما أفضل؟ طبعًا بالحس الإنساني الصِّرف ستقول لي الابن هو الأفضل، ولكن هنا أعظم ما يمكن أن يُقال عن الله والإنسان معًا، وهو أن البنوة ليست رتبة شرفية. الموسيقار عبد الوهاب نال رتبة لواء في الجيش المصري دون أن يكون له أي إلمام بالعلوم العسكرية، هذه مجرد رتبة شرفية. ونحن لسنا أبناء الله مثل اللواء الموسيقار عبد الوهاب، نحن نولد من الله ولادة روحية تنقل كياننا الإنساني الترابي إلى كيان جديد، وهنا لا بد أن نقول إن تبني الإنسان يعني أن الله آب وابن معًا. الأُبوة في الآب، والبنوة في الابن تجعل تبني الإنسان حقيقة معاشة أبدية حية. وتحول صلاتنا من صلاة العبيد إلى صلاة الأبناء، ولذلك علَّمنا الرب يسوع الصلاة الربانية: «أبانا الذي في السموات»؛ لأنه جاء وأعلن لنا أُبوة الله كآب له ولنا. هل يمكن أن يعطى الإنسان التبني إذا كان الله واحدًا فقط؟

سامي : طبعًا ممكن. لأن أي إنسان، ممكن كإنسان واحد يتبنى أي طفل أو طفلة.

جورج : هذا صحيح، ولكن أنت نسيت نقطة هامة، وهي أن الطفل ليس ابنًا حقيقيًّا من زرع الأب ومن رحم الأم. أما نحن، **فإن بنوتنا هي من الله نفسه،**

هي ليست انتساب، ولا هي لفظ بلا كيان حقيقي. نحن أولاد الله؛ لأننا نولد من الله. ومثال الولادة هي ولادة الابن من الآب.

سامي : أنت تعرف مقدار ما لديَّ من حساسية من كلمة ولادة الابن من الآب؛ لأن هذا يشبه إلى حد كبير الحياة الإنسانية.

جورج : العكس هو الحق، وهو أن الحياة الإنسانية تشبه حياة الله، وليس العكس، بدليل: مَن هو خالق الإنسان؟ أليس هو الله؟ فإذا كان الله خالق الكل قد وضع الأبوة والبنوة فينا لأنها أصلًا كائنة في الله، فما هي المشكلة؟

سامي : المشكلة يا سيدي هي أن الله صار مثل الإنسان.

جورج : العكس صحيح، وهو أن **الإنسان مدعو لأن يصير مثل الله؛** لأن الإنسان خُلق على صورة الله ومثاله كما ذكر سفر التكوين (١: ٢٦). نحن مدعوين للتشبه بالله. وقد جاء التدبير الخاص بالخلاص وتجسد الابن ربنا يسوع المسيح، فصار الإله المتأنس، فقد قابلنا في منتصف الطريق كما قال القديس أثناسيوس في كتابٍ أرجو أن تدرسه بعناية، وهو «تجسد الكلمة». جاء وتجسد لكي يعلن لنا حقيقة الله وحقيقة الإنسان معًا في شخصٍ واحد.

سامي : أريد أن أعود إلى رأس الموضوع. أنت ترى أن الثالوث أعلن لنا التبني، وأن التبني حقيقة إلهية كائنة في الله في ابن الله وهو ابن الآب. هل أنا فهمت كلامك؟

جورج : نعم. وأنت محاور بارع. لكن يجب أن نعود إلى الموضوعات الثلاثة التي أشرت إليها، وهي: المحبة حركة حياة إرادية في الله — العطاء الإلهي هو عطاء حياة — التشبُّه بالله هو غاية خلق الإنسان.

سامي : لقد أضفت بعض كلمات لم تذكرها من قبل، وهي التشبُّه بالله غاية خلق الإنسان.

جورج : صحيح، معاك حق، أنت يقظ.

سامي : لازم أرجع الشغل. شاكر الغذاء اللي دفعت ثمنه. يا ريت كل مرة كده.

جورج : تحت أمرك يا أخي، الطعام هبة من الله الآب والابن والروح القدس.

سامي : يعني حتى الثالوث يتدخل في الغذاء؟

جورج : الثالوث هو حياتي الأبدية، وليس فقط الغذاء. وانصرفنا على أن نلتقي في موعد يحدده الأخ سامي.

(٤)

السبت ١١ يناير ٢٠١٥، وكان الموعد قد حُدِّد من أجل موضوع واحد حسبما ذكرت رسالة سامي في التليفون: شركة المحبة في الثالوث.

سامي: أريد أن أقف عند موضوع «الله محبة»؛ لأنك تقول إن هذه المحبة ثالوثية، هل لديك دليل على ذلك؟

جورج : الدليل يا صديقي هو استعلان يسوع المسيح. فقد جاء يسوع وأعلن الآب والروح القدس. الآب يصف الابن بأنه «ابني الحبيب»، والابن يصف الروح القدس بأنه «معزِّي آخر»، أي مثل الابن هو أيضًا حبيب. نحن عرفنا الثالوث من تجسد الابن، وقبل ذلك كانت لدينا إشارات وإرهاصات الأنبياء، لكن الاستعلان الحقيقي والكامل هو في تجسد الابن.

سامي : جيد جدًا. كيف استُعلنت محبة الثالوث في الابن؟

جورج : استُعلنت على ثلاث مستويات:

الأول: إرسالية الابن متجسدًا؛ لأن هذا يعني أن الله الآب أحب الإنسان محبة خاصة، وأحبه وهو في شكله الإنساني، وحياته الإنسانية، أي الجسد والروح.

والثاني: هو اشتراك الابن في حياتنا الإنسانية لكي يبيد الموت والخطية.

والثالث: هو أن ينقل الابن إلينا، أي إلى كياننا، ما حقَّقه وحوَّله في حياته، أي تحوُّل الكيان الإنساني منه إلى كيان جديد خالد حي إلى الأبد ينقل إلينا هذا التحول بالروح القدس.

سامي : أعترف لك أنني لم أسمع هذا لا عند شهود يهوه، ولا حتى في الكنيسة. أنت تباغتني بما هو جديد وغير مألوف.

جورج : لك كل العذر يا أخي، لكن لقد اتفقنا على أن نتكلم عن المحبة الثالوثية، أليس كذلك؟

سامي : نعم.

جورج : المحبة ليست مشاعر الحنان والشوق والرغبة في اللقاء، هذه كلها مشاعر إنسانية نبيلة جيدة، وهي دعامات الحياة الإنسانية. ولكن المحبة في جوهرها الحقيقي هي قبول الآخر قبولًا كاملًا بلا شروط أو قيود أو مواصفات، هي حرية القبول. طبعًا أنا هنا أُشير إلى المحبة الإلهية. وعندما نقول: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣: ١٦)، فإن المحبة هي حركة بذل وعطاء وقبول الإنسانية قبولًا كاملًا ليس باللفظ –كما نفعل نحن– بل بالاتحاد بالحياة الإنسانية. يا أخي إن المشكلة الأولى التي تواجهنا هي أن فهمنا وممارستنا الإنسانية للمحبة هي سبب عدم قبول الثالوث.

سامي : أرجوك اشرح هذا بالتفصيل.

جورج : يقول ربنا يسوع: «إذا أحببتم الذين يحبونكم، فأيُّ تقدُّمٍ قد أحرزتم، وأيُّ فضلٍ لكم» («أيُّ فضلٍ لكم» في الترجمة البيروتية هي ترجمة غير دقيقة)، ولذلك أضاف الرب: «أحبوا أعدائكم». نحن نحب مَن يتلاءم مع احتياجاتنا، وبذلك تموت المحبة وتتحول إلى إرضاء الذات، وإلى ما يُعرف باسم النرجسية، أي الإفراط في محبة الذات. نحن نحب بشروط، وبالبحث عن ما يشبع الاحتياجات والغرائز التي لدينا، مثل محبة الكلب لسيده لأنه يطعمه. أمَّا المحبة الإلهية، فهي ليست كذلك، إنها محبة لا تبحث عن إرضاء الذات، بل تقبل الآخر لكي تشارك الآخر حياته وكيانه.

سامي : يا أخي أليست الشركة حاجة؟

جورج : أبدًا. كل الاحتياجات نابعة من نقص الكيان، ومن حقيقة غابت عن

الوعي، وهي أن الإنسان مخلوق من العدم، ولذلك وجوده ناقص، ووجوده يعتمد على غيره دائمًا مثل الاعتماد على الهواء والماء، بل والبشر، حتى نستطيع أن نعيش من هذا الاعتماد على الآخر، تولد الاحتياجات. أمَّا الله، فهو ليس كذلك. الشركة حركة طبيعية، هي حركة العطاء، تجدها قد استُعلنت في (يوحنا إصحاح ١٧) وهذا الإصحاح بالذات هو أحد ركائز التعليم المسيحي. لكن إذا وضعت (رو ٨: ١٤ – ٣٢) مع (يوحنا إصحاح ١٧)، فسوف تجد حركة المحبة الثالوثية. في يوحنا ١٧ عطية الحياة الأبدية واعتبار البشر عطية الآب للابن (عدد ٦)، ثم طلب وحدة المؤمنين على مثال وحدة الآب والابن، بل وشركة الكل في ذات المجد الإلهي، والأهم هو: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم». وإذا انتقلنا من الاستعلان الإلهي إلى التدبير في (رو ٨: ١٤ – ٣٢)، فسوف تجد قبول الروح القدس الذي أقام يسوع (عدد ١١)، وهو نفس الروح القدس الساكن فينا، ثم قيادة الروح القدس لنا كأبناء الله الأحرار حتى أننا نصرخ: «أبًا أيها الآب» (عدد ١٥). ولذلك، الروح القدس هو روح التبني. وماذا يمكن أن نقول عن: «وارثون لله ووارثون مع المسيح»، أي ميراث الملكوت السماوي. فقد نقلت إلينا المحبة الثالوثية غير المشروطة وغير المقيَّدة هذا الزخم الإلهي. ثم لاحظ أننا دُعينا لأن نكون «مشابهين صورة الابن» (٨: ٢٩) ليكون هو البكر، وفي هذه الدعوة ننال التبرير – والتمجيد؛ لأن الله الآب لم يبخل[١] علينا، بل بذل ابنه لأجلنا ويختم الرسول: «كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء» (٨: ٣٢). هكذا تتحرك المحبة الثالوثية: تزيل كل العقبات، بل تدوس على الدينونة وتغفر الخطايا، وتحول الانسان المائت إلى إنسان حي إلى الأبد، كل هذا نابع من ذات المحبة الثالوثية.

سامي : الوقت سرقني. هل لديك استعداد لأن نتقابل الأسبوع القادم.

جورج : نعم أن شاء الله.

١ –«يبخل، أو يضن» هي الترجمة الصحيحة، وعدم الشفقة وُضِع في النص لدعم موت المسيح النيابي العقابي.

(٥)

مرَّ أسبوع وصديقي سامي قد لزم الصمت، ولم يتصل بي، فقررت أن أزوره في مقر عمله لمجرد الاطمئنان عليه. السبت ١٨ يناير كان لقاءً حاسمًا. فقد زاره بعض القدامى من الأصدقاء من شهود يهوه. وكِدنا نعود إلى نقطة البداية. ما هي فائدة الثالوث؟ هذا سؤالٌ غَلَبَ كل ما لديه من أفكار وُلدت في كل حوار سابق. ومع أنه لم يبدو متحمِّسًا للحديث، إلَّا أن نعمة الروح القدس حرَّكت قلبه، بل دعاني إلى الغذاء في مطعم مجاور.

سامي : أنا مشغول –طبعًا ليس مثلك– بموضوع الثالوث. ما هي فوائد، أو حتى فائدة واحدة من الإيمان بالثالوث؟

جورج : وأنا مثلُكَ مشغولٌ بموضوع التوحيد. ما هي فائدة الإيمان بإلهٍ واحد سوى إنكار تعدد الآلهة، ونفي الشرك ومحاربة الوثنية. ما هو تأثير إيمانك بإله واحد على حياتك؟

سامي : ألم يكن التوحيد هو عقيدة بني إسرائيل: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهك ربٌّ واحد». هل هذا مرفوض؟

جورج : أبدًا، مقبولٌ إلى الأبد. ولكن لا يجب أن تنسى أن الرب الواحد كان يعمل بالروح القدس، أو روح الرب في الأنبياء. وكان للرب الواحد عهدُ زواجٍ مع إسرائيل شَرَحَه النبي هوشع. وكان الراعي الذي يرعى إسرائيل كما ذكر مزمور ٢٣ وفي باقي المزامير تجد أن الرب هو النور والصخرة والحصن، فهو إلهُ عهد مع الآباء. هو ليس واحدًا فقط، بل واحد في شركة مع شعب. وطبعًا يُستعلَن يهوه بعد ذلك في يسوع وفي الروح القدس، لكي يصبح يهوه هو الآب الذي أرسل الابن لكي يصبح «بكرًا بين أخوةٍ كثيرين». أما التوحيد الذي لا يعرف العهد، ولا يعرف أن روح الرب يعمل في القلوب، فهذا

توحيدُ عزلةِ الله عن البشر.

سامي : جيد. إذن أنت تعتقد أن يهوه هو الآب والابن والروح القدس.

جورج : نعم. ولكن، لاحظ أن اسم يهوه لم يُستخَدم في العهد الجديد كله، ومذهب شهود يهوه يخطئ في التعليم بأن عدم وجود اسم يهوه سببه الكتابة باليونانية، ولكن السبب الحقيقي، ليس لأن الأُمم لا يعرفون اسم يهوه، بل لأن يسوع جاء وأعلن لنا أبوة الله. الله هو الآب، ولم يعد اسم يهوه له ذات الدلالة التي كانت له في العهد الأول. صار اسم يهوه، أي «الكائن»، أو ما شئت من ترجمات للاسم، تعني الأبوة؛ لأن يسوع جاء وأخبرنا عن أبوة الله الآب لنا.

سامي : حلوٌ، كلامُكَ حلوٌ. إذن عدم استعمال الاسم العبراني في العهد الجديد، ليس بسبب حلول اللغة اليونانية محل العبرانية، وإنما هو استعلان أبوة الله الآب. جيد، فكيف يؤثِّر هذا على حياتي؟

جورج : يا أخي التعامُل مع سيد ليس مثل التعامُل مع أب. أنا أشير إلى الحياة الاجتماعية. إذا كان الله سيدًا وعظيمًا وملكًا، ولك أن تضيف ما تشاء من أسماء وألقاب، ثم افتقر إلى المحبة، محبة الأب الذي يرى ابنه، ليست محبة السيد لعبده الذي يخدمه، ألا ترى أن هذا يرفع من كرامة الإنسان، ويعطي مرجعيةً إلهيةً للإنسان، وهي أنه ابن الآب السماوي، وليس عبد الله.

سامي : ولكن بولس الرسول يقول: «بولس عبد يسوع المسيح»، فكيف تشرح هذا؟

جورج : وهو أيضًا قال إنه نال روح التبني، وإنه يدعو الآب أبًّا (غلا ٤ : ٤ — ٦)، وهو ذاته قال: «لي الحياة هي المسيح». بولس أراد أن يقول بلغة العصر إنه كما أن العبد في الإمبراطورية ليس له حقوق؛ لأن سيده يملك كل ما في حياة العبد، بما فيها حياة العبد نفسه، فمن فرط محبته للمسيح قال بولس إنه عبد المسيح؛ لأن المسيح يملك حياته، ولكن لاحظ أن بولس يملك حياة يسوع المسيح أيضًا.

سامي : أنت تملك حياة يسوع؟

جورج : نعم؛ لأن المسيح هو حياتي، وهو قيامتي، وهو مصيري الأبدي؛ لأنه لا يُضاف إليّ، بل أنا أتَّحدُ به لكي نصبح كيانًا واحدًا.

سامي : هذا كلامٌ جديد عليّ. يجب أن تعطني بعض الوقت لكي أبلعه.

جورج : لم تخبرني أنت: كيف يساهم التوحيد — الإيمان بيهوه في تكوين حياتك؟

سامي : أجد نفسي مضطرًا إلى عدم الإجابة؛ لأنك تملك الله، ويسوع أعطاك هذه الملكية. هذا تعليم راديكالي وخطير جدًا.

جورج : راديكالي، نعم؛ لأنه يقلب كل ما نعرفه عن الديانات رأسًا على عقب. وعلى سبيل المثال لا الحصر، يصبح الإيمان دعوةً لمشاركة الله في حياته الخاصة. عندما نقول في لغة العصر: هل قبلت يسوع كمخلِّص شخصي لك؟ فإن السؤال يكون موجَّهًا إلى شخص، أي الإنسان، وهنا الإيمان لا يعني السيادة والسيطرة وخضوع العبيد، بل يعني التبني، وأن نصير مثل يسوع أبناء للآب السماوي. لذلك؛ ليس لدينا «عبادة» في المسيحية، بل خدمة، وهي خدمة الثالوث لنا في اقتناء كل إنسان كابنٍ.

سامي : يبدو لي أن فكرة التبني هامة بالنسبة لك.

جورج : هذه ليست فكرة، بل هي دعوة إلهية في المسيح يسوع لأنْ نكون مثله. هي دعوة لتحوُّل الكيان من عبوديتنا للوجود البيولوجي الآدمي، إلى حرية مجد أولاد الله. نحن لا نتكلم عن أفكار يا صديقي، نحن نأخذ عطايا وليس أفكارًا.

سامي : كلامُك عسل. كيف نأخذ عطية البنوة؟

جورج : إذا كان لك إيمان بيهوه، وليس بالآب أبو ربنا يسوع المسيح، فإن النبي أشعياء يقول عن بني إسرائيل: «ربَّيتُ بنينًا وهم عصوا عليَّ»، فقد أكلوا المن والسلوى، ونالوا الوصايا العشر على جبل حوريب. هذه ليست مثل علاقتنا

بالآب في العهد الجديد. الفرق الكبير، جاء بتجسُّد الابن. عندما تجسَّد الابن وصار بشرًا مثلنا، حدث تغييرٌ كبير. فلم تعد العلاقة عن طريق حفظ الوصايا العشر، وبتقديم الذبائح، بل صارت عطاءَ حياةٍ جديدة.

سامي : سبق وأشرت إلى عطية الحياة الجديدة. ماذا تقصد بالضبط؟

جورج : أقصد ثلاثة أشياء، أو ثلاث حقائق: الأولى هي أن الله نفسه يدخل في شركة معنا بعد أن هيَّأ الابنُ الإنسانيةَ بقبول هذه الشركة بالتعليم، وبرفع قضية أو حكم الموت، وفتح باب الغفران، ثم بإعطاء الروح القدس لكي يسكن فينا.

سامي مقاطعًا: ولكن الروح كان يعمل في العهد القديم.

جورج : صحيح. ولكن عمله كان قاصرًا على عطية النبوة، ومسح ملوك إسرائيل لكي يحكموا الشعب. أمَّا في المسيح، فنحن نأخذ البنوة وليس فقط النبوة، يعني ينقلنا الرب يسوع –بسبب الاتحاد به– إلى أن ننال فيه ذات العلاقة التي له مع الآب.

سامي : هذا كثيرًا. إذا كان صحيحًا، فقد انحرف شهود يهوه عن الطريق السليم.

جورج : هذه عطية الله العظمى، أن نصبح أولاد الله. ولاحظ عبارة إنجيل يوحنا: «أمَّا كل الذين تبعوه، فقد أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله»، إذ ليس لنا سلطان في كياننا أو حتى إرادتنا أن نكون أولاد الله. نحن لا نهجم على الحياة الإلهية، بل ننال عطية. ثم لاحظ بقية كلمات الإنجيل: «الذين ولدوا ليس من دم ولحم ولا من مشيئة رجل ولكن ولدوا من الله»، هذه العلاقة روحية، أي حقيقية، وليست مجازية أو استعارية كما يفهم البسطاء. نحن نولد من الله الآب في يسوع المسيح. هذا تحوُّل كياني من عبودية للطبيعة الإنسانية إلى حرية في المسيح، وصفها رسول المسيح بأنها «حرية مجد أولاد الله».

سامي : هل هذا التحول شيء نشعر به؟

جورج : يمكن أن نقول نعم، ولكنه ليس قناعةً في القلب، ولا هو إصرارُ الإرادةِ،

ولا هو حتى الاعتراف بالمسيح ربًّا ومخلِّصًا؛ لأن مَن يقع في هذا الوهم، قد «وَلَدَ ذاتَهُ من ذاتِهِ»، ولكن مَن يولد من الله، قد ينال الإحساس، ولكنه يرى في كيانه تحوُّلًا، وشوقًا إلى الآب السماوي، واحتقار كل الأمور الزمنية — وغفران الإساءة، ليس لأنها وصية فقط، بل لأن المحبة الفائقة الإلهية تجعلنا نشعر ونعتقد بقيمة حتى الخطاة عند الله الآب، ونتعامل معهم كما نتعامل مع إخوة لنا.

توقَّف الحوار عند طعام الغذاء.

(٦)

توقفنا عند البنوة للآب، وقد بدت كفكرة لدى الأخ سامي، وكنتُ مصِرًّا –حسب بشارة الإنجيل– على أنها تحوُّل كياني وليس مجرد تغيير الفكر ..

سامي محاور ممتاز، قضى سنوات طويلة في صحبة والانتماء لشهود يهوه. دَرَسَ أسفار الكتاب المقدس، وأخضَعَ العهد الجديد برمته للعهد القديم. كل شرح للعهد الجديد لديه، يصطدم بخلفية من العهد القديم. ومع أن هذا يبدو موضوعًا جانبيًا، إلَّا أنه ليس كذلك، فهو موضوعٌ في قلب الحوار. والسبب في أن توحيد العهد القديم رغم ما فيه من زخمٍ روحي، لم يقدم حياة الله نفسه للشعب القديم، ولذلك، يظل التعليم بالشركة في حياة الثالوث غريب، بل ويبدو التعليم بالولادة من الآب في الابن، كما لو كانت حديثًا عن كوكب المريخ. ولكن سامي كانت لديه أشواق للمعرفة، وليس مجرد الفضول.

بعد الغذاء، واسترخاء العقل والجسد، قال سامي إنه يرغب في متابعة الحوار، ولكنه غاب أكثر من ساعة عن العمل، وهذا غير ملاءم له، ولا للأخوة الذين يعملون معه. ولكن اتفقنا على لقاءٍ في مساء نفس اليوم في مقهى قريب.

سامي: انشغلت بموضوع البنوة؛ لأنه في الحقيقة يقدِّم لنا كفكرة، والفكر يغير حياة الانسان. أليس كذلك؟

جورج: نعم أفكارنا تغيِّر حياتنا، ولكن فكرة من عقولنا تعيد كياننا إلينا، يعني أننا نحن الذين نغيِّر أنفسنا بأنفسِنا، وهذا مطلوبٌ في العمل، وفي العلاقات الاجتماعية، ولكن بالنسبة لعلاقتنا مع الله، الأمر مختلف؛ لأن علاقتنا مع الله هي علاقة أبدية، وإذا بدأت بنا فقط وانتهت إلينا بدون الله، فهي ليست أبدية، بينما البنوة عطية أبدية.

سامي: أريد شرحًا أكثر.

جورج : بكلِّ سرورٍ. العلاقة الشخصية تبدأ بالإيمان بأن لنا مصدر حياة هو الآب، وأنه لا توجد لنا حياة في ذواتنا في كياننا سوى الحياة التي نرى فيها الكبرياء والتشامخ والرغبات في الاستعلاء، والدفاع عن النفس، ولو أدَّى الأمر إلى قتل الآخر — الاعتداد بالرأي — تفضيل الذات على الآخرين واعتبار أننا أعظم وأفضل. هذه هي الحياة القديمة في شكلها الساقط الآدمي الأول. هنا يبدأ التحول الذي يعطيه الرب يسوع بأن الحياة الجديدة هي هبة، وهي ليست نابعة من الفكر، وإنما من شركتنا في حياته، ومن الشركة، يدركها ويسعى وراءها الفكر أو الإدراك أو الوعي. نريد أن نكون مثل المسيح، ولكن بالمسيح، وعندما يصبح التشبُّه بالمسيح هدفًا، أي التشبُّه به في القول والفعل، تتحول حياتنا بالشركة. نحن لا ندخل هذه العلاقة بالإرادة وحدها.

سامي : حسنًا إذن، ما هو دور الآب وما هو دور الابن؟

جورج : الآب في الابن كما أن الابن في الآب. هكذا علَّمنا الربُّ نفسه في إنجيل يوحنا. ولذلك، كل شركة في الرب يسوع هي شركة في الآب أيضًا؛ لأن الابن ليس كائنًا منفصلًا عن الآب. نحن في المسيح يعني أننا في الآب. هي شركة المحبة التي سبق وأشرت إليها من قبل، ربما الأُسبوع الماضي. هذه الشركة تجعل كل ما يقدِّمه المسيح لنا، فهو يقدم ذاته لنا، وهو يقدم ذاته كذبيحة محبة مستعلَنة في تجسده وموته لأجلنا وقيامته المجيدة. هذه أفعال وليست كلمات فقط.

سامي : جيد. كيف أدخل أنا سامي إلى هذه العلاقة أو الشركة؟

جورج : أولًا: بجحد الذات. كما قال الرب نفسه، وحمل الصليب. وثانيًا: بالحياة التي تخضع لما تأتي به هذه الشركة.

سامي : على سبيل المثال لا الحصر. ما الذي تأتي به الشركة؟

جورج : تأتي الشركة برفض كل أنواع وأشكال البُغضة، واعتبار المحبة هي أساس كل شيء؛ لأن حياة المسيح وقوته وعمله مستعلَنة بالمحبة التي أحبنا بها.

سامي : أنا معجب باهتمامك بالمحبة. في عبارة واحدة، ما هو سر اهتمامك بالمحبة؟

جورج : لا يوجد سِر. الرسول يقول: «الله محبة ومن لا يحب لا يعرف الله». نحن لا ندرك أن المحبة هي التي تحدد مسار الحياة الإنسانية كلها، ونستخف بها بسبب ضعف الأغاني العاطفية عندنا.

يعني محبة الثالوث ليست مثل أغاني أم كلثوم. لعل أقرب مثال لفاعلية المحبة هو شهداء الواجب من القوات المسلحة والشرطة. هؤلاء لديهم تدريب واحد، وهو تخصيص الحياة للدفاع عن الوطن. لذلك، إنكار أو جحد الذات هو تخصيص الحياة للمسيح من أجل الاتحاد به، ونمو هذا الاتحاد هو نمو محبة الرب في قلوبنا.

كان الوقت قد مضى بسرعة وانصرفنا على أمل اللقاء.

خاتمة[٢]

ظلت أسئلة الأخ سامي في قلبي مثل صدى صوت آتٍ من بعيد من قرون التاريخ القديم الحي في صلواتنا وحياة قديسي الكنيسة، لا سيما آباء البرية.

الثالوث هو الله الحي المتحرِّك الخصب وليس العقيم (اثناسيوس العظيم ضد الأريوسيين مقالة ١: ١٨-١٩).

هو المحبة التي تسكب ذاتها في تواضع مُستعلن في تجسد الابن (هيلاري أسقف بواتييه الثالوث ٨: ٢١-٢٢).

هو المحبة المثلثة (أوغسطينوس الثالوث كتاب ٩ فصل ٢).

الثالوث هو حياة واحدة عبَّر عنها الآباء بكلمة جوهر، والجوهر الواحد هو أبوة الله. الآب هو مصدر أو «ينبوع» (أثناسيوس، الرسائل إلى سرابيون الرسالة ١: ١٩) فالجوهر هو الآب. وعند أوغسطينوس الجوهر واحد، وفي الجوهر الواحد ثلاثة أقانيم. ولا خلاف إلَّا في النظرة. ولكن التعليم الشرقي أكثر وضوحًا وأكثر التصاقًا حتى بمفردات الكتاب المقدس؛ لأننا لم نسمع عن جوهر أرسل الابن، بل عن الآب الذي أرسل الابن، وكينونة الله هي أبوة الله، «الوجود شركة».

تمر هذه الخلجات التاريخية الحية مثل أنغام إلهية، أحاول أن أنقلها إلى أسير شهود يهوه الذي لم تقدِّم له «الجماعة» أي تعليم عن الله إلَّا ما ورد في العهد القديم، وكأن العهد الجديد لا وجود له.

حيلةً ومكرًا يهدفان أصلًا إلى تقويض المسيحية برمتها.

وسامي الذي لم يسمع في فترة شبابه أي تعليم عن الثالوث، لا في مصر، ولا عندما هاجر إلى الولايات المتحدة، هو فريسةٌ سهلةٌ مثل غيره من الأقباط، ليس لديه مقاومة، ولا حتى حُجة تجعله يدافع بها عن الإيمان، فهو لا يعرف عِظم هذا

---

٢ تلك كانت خاتمة الحلقة الأولى من الحوار، ونشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ ديسمبر ٢٠١٤، وقد فضَّلنا وضعها هنا كخاتمة لحلقتي الحوار.

الإيمان، ولا قيمته الغالية؛ لأن الثالوث مجرد فكرة وأسماء سمعها ولم يتحرَّ عنها. قرأ بشغفٍ شديد ما قدمته من كتب (سبق الإشارة إليها في الحوار السابع — الحلقة الأولى)، واشتعل قلبه بمحبة اكتشاف الله. وكنت أنا نفسي مثله، لكنني وجدت المعلِّمين الأمناء على الإيمان الذين كانت لديهم:

— الخبرة الحياتية.

— التذوُّق الروحي للثالوث.

وجاءت دراسة الآباء بعد ذلك، لا سيما أشعار النزينزي — مار افرام — يعقوب السروجي، فالله حيٌّ متحركٌ، عاملٌ فينا، مشتاقٌ لأن يسكن في داخلنا.

الثالوث والصلاة:

نحن نصلِّي في الابن لأنه رأس الكنيسة. حتى الاعتراف بالخطايا يتم بواسطة الرأس يسوع، الذي يعترف معنا، ليس لأنه أخطأ، بل لأنه رئيس الكهنة (أوغسطينوس عظة على مزمور ٢١ وهو مزمور ٢٢). وصلاتنا في الابن مصدرها الابن نفسه، فقد جاء تجسد الرب وغيَّر الصلاة، صارت الصلاة أقوى من صلوات الأنبياء. قارن مزمور ٢٣ «الرب راعيَّ»، ويوحنا ١٠ عن الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف، ويقدِّم حياته من أجل الخراف. يوحنا ١٠ نقلةٌ هائلة من مجرد التسبيح، إلى دائرة العطاء الإلهي، أي عطاء المحبة المطلقة التي تدافع عن الخراف أمام الذئب، وتبذل حتى الحياة: «أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣: ١). يسوع الذي تجسَّد وتنازل إلينا من مجد السماء، هو مصدر الصلاة، هو سبب دعوتنا الله الآب: «أبانا» (أثناسيوس في الرد على الأريوسيين مقالة ٢: ٥٨)؛ ولذلك، الصلاة المسيحية الحقيقية، هي في الابن، وهي بالتالي صلاة في الله نفسه، وليست مجرد صلاة إلى الله. ومَن استلم الليتورجية يعرف أن كل عبارة تُقال في الصلوات الليتورجية هي «التدبير الالهي الذي حرَّك اللسان والقلب لمعرفة سر المحبة الإلهية»، ولكن حركة اللسان والقلب لا تأتي من الفكر، بل هي حركة «مسنودة بالتدبير"، والسند هو ما فعله يسوع نفسه لأجلنا، وهو محفوظٌ فيه لكي يُعطى لنا.

- حَفِظَ الولادة من الروح القدس والقديسة مريم؛ لأنه نقل الجنس البشري من آدم إلى شخصه (أثناسيوس، ضد الأريوسيين ٣: ٣٣ على نولد نحن من الروح القدس والماء).

- حَفِظَ إبادة الموت على الصليب؛ لأنه لم يكن موت الخطية، بل موت الفادي، الذي نتحد بموته، ونُصلَب معه في المعمودية (رو ٦: ١-٨).

- حَفِظَ القيامة؛ لأن القيامة ليست -كما يتصور البعض- جاءت لأن الرب مات على الصليب، بل لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت القابل للموت هو الذي يعي القيامة الحقيقية.

- أدخل البُعد السمائي؛ لأنه صعد إلى السماء لكي يصل تجسده إلى الهدف الأعظم، وهو الالتصاق (تعبير الالتصاق ورد في مقدمة جحد الشيطان في صلوات المعمودية)، وبصعود الرب أصبح حلوله وسكناه في كل مؤمن حقيقة.

كيف غيَّر ذلك الصلاة المسيحية؟

ليس فقط بالانتقال إلى رتبة، أي مكانة الأبناء الأحرار، فهي ليست صلاة العبيد: «متى صليتم قولوا أبانا الذي في السموات». ولم يضع الرب يسوع نظامًا للصلاة. ونظام الصلاة في السواعي هو شركتنا في التدبير: في القيامة (باكر)، في حلول الروح القدس (الثالثة)، في الصلب (السادسة)، في الموت (التاسعة)، في الدفن (الغروب)، في انتظار مجيء الرب (نصف الليل). هذه مدرسة وليست شريعة أو حتى قانون[٣].

التدبير هو دائرة الصلاة، وهي ليست دائرة مغلقة، بل دائرة مفتوحة على حرية أبناء الله، وهي تحدد لنا رسم وحركة التنازل الإلهي في تدبير الذي شاركنا كل شيء من الولادة إلى الموت؛ لكي ينقل الولادة والموت إلى حياةٍ أعظم. ولادة روحية،

٣- فقدت كلمة قانون معناها (دفة السفينة)، والتعليم الذي يغيِّر هذا المعنى إلى ناموس يُفرض على الإنسان، يفترض أن بولس لم يكتب غلاطية وكولوسي أو العبرانيين، حيث يؤكد الرسول أن الانجيل ليس قائمًا بفرائض وشرائع وقوانين.

وموت لقيامة أعظم من الحياة الحاضرة.

الشركة ليست بالكلمات وحدها، وإنما هي أفعال الرب التي كوَّنت حياته هو. التجسُّد غيَّر كيان الرب، فلم يعد لاهوتًا فقط، بل لاهوتًا متجسدًا إلى الأبد. والتغيُّر هو تجلي المحبة، ليس في الألوهة -حتى لا تنبح كلابٌ مسعورة- بل في الناسوت؛ لكي يتغير الناسوت، أي ناسوته هو، لكي يتغير ناسوت أو حقيقة كيان كل مؤمن.

هذا هو قلب لاهوت الإسكندرية، وهو قلب التدبير والتسليم الكنسي. «كل كلمة تقال في صلواتنا، هي من قلب التدبير، وتعبِّر عمَّا هو كائن»؛ لذلك «لا تفصل الكلمة عن الفعل؛ لأن الجُهَّال وحدهم يفعلون ذلك، وهم في أغلب الأحوال أسرى الشريعة وعبيد الحروف».

إذا قلنا: «يا رب يسوع»، فهذا استعلان الروح القدس (١ كو ١٢: ٢٣). فاللسان ينطق بالرب يسوع إذا كان القلبُ حيًّا بالروح. أمَّا إذا نطق حسب العادة، فهو بالتدريج يقع أسيرًا للعادة، ويفقد الهدف، وهو صلاة الأحرار من أبناء الله المدعوين حسب قصده.

إن جوهر صلاة الأبناء «أبًّا أيها الآب» (غلا ٤: ٤-٦)، هو نداءٌ للروح القدس، يضعه الروح القدس فينا. يغلب كل العوامل النفسية والأفكار. هو صراع الروح القدس نفسه مع رواسب الحياة الآدمية. ويضع الروح القدس فينا ما تُسلِّمُه إلينا الليتورجية، أي «الدالة»، وحرفيًا هي «الجسارة» والشجاعة؛ لأن «الخطية تزرع الخوف»، وهو ما يمحوه الروح القدس بالمحبة النارية مؤكِّدًا أننا نلنا «روح التبني»، وليس «روح العبودية للخوف» (رو ٨: ١٥).

الفعل الإلهي ليس قولًا، بل القول يعبِّر عنه. ومَن يمسك بالتعبير وحده، كمن يمسك بلافتة تحدد له الاتجاه ولا يتحرك في الاتجاه الذي تحدده اللافتة.

مِثَالٌ حي، وحياته هي الرب نفسه: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ»، هي صلاة العشار جامع الضرائب القاسي الذي لا يعرف الرحمة. الآن عَرِفَ رحمة الله، ولكن «الآن ظهرت رحمة الله مخلصنا» كيف؟ بالولادة من فوق في المعمودية، وهي نعمة

لا تبلى، هي ختان المسيح (كولوسي٢: ١١)، هي لا تضيع.

مَن يطلب الرحمة هو مَن عَرِفَ المصلوب الحي، الملتصق به، الساعي دائمًا لكي يغسله من خطاياه.

الصلاةُ هي عودة الوعي، وليست عودة الكيان؛ لأن الكيان مُتَّحد إلى الأبد. هذا الأساس وَضَعَه التجسد؛ لأننا من اتحاد أُلوهية المخلص بنا، نلنا الاتحاد به على النحو الذي تغنَّى به الرسول بولس في (رو ٨: ٢٩)، حيث لا يوجد انفصال في المحبة؛ لأن المحبة توحِّد الوجود الإنساني، الكيان نفسه بالكينونة الإلهية، وهي «الله محبة» (١يوحنا ٤: ٧).

الصلاةُ هي فعلٌ إلهي يكشف عنه التعبير. وصحة التعبير يؤكدها الفعل نفسه. ولعل أفضل مثال هو «العثرة التاريخية في سر الإفخارستيا»، فكل تفسير لقول الرب: «خذوا كلوا هذا هو جسدي، وهذا هو دمي»، يتجاهل الحقيقة الواضحة، أنه عطاءٌ، أي فعلٌ أو عملٌ يشرح القول، وكل مَن يكتفي بالقول وحده، ويدخل في غياهب ومتاهات التفسير، ضاع منه العطاء، وحوَّل عطاء الرب الشخصي الأقنومي إلى فكرة.

عطاء الفرد، وعطاء الأقنوم

كانت حيرة الأخ سامي هي الانتباه إلى الواحد بعينه، وهو ما كان يظنه نسيان أو تجاهل الآخرين. سامي مثل كل مبتدئ، هو «فرد»، والفرد يتجاهل دائمًا ما يميز الشخص. وعطاءُ الفرد:

أولا: عطاءُ الفرد، مع افتراض وجوده، هو عطاءُ شيءٍ، وليس عطاءًا ذاتيًا، وهو مثل الحَسَنَة، وما فيها من ترفُّعٍ، أو مثل إعطاء ملابس قديمة أو شيء زائد.

ثانيًا: هو لحل مشكلة، أو لطرد المحتاج بعيدًا؛ لأن المحبة بعيدة عن وعي الفرد.

لكن عطاء الشخص:

أولا: نابعٌ من إرادة الشركة.

ثانيًا: على المستوى الإلهي، هو الحياة الإلهية التي وُصِفَت باسم الحياة الأبدية «هبة الله فهي حياة أبدية»، وإضافة «في المسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ٢٢)، تؤكد أنها عطاءٌ أقنومي[٤].

لذلك السبب عينه، جاء تمييز الأقنوم في الجوهر الواحد، فهو تمييزُ عطاءٍ محبةٍ شخصيةٍ أو أقنومية[٥]. لذلك، محبة الآب للابن هي محبة خاصة جعلت رسول المسيح ينحت تعبيرًا غير مألوف في العهد القديم عن الابن «ابن محبته» (كولوسي ١: ١٢)، وهنا سر الحياة الإلهية؛ لأن «المولود من الآب قبل كل الدهور» حسب قانون الإيمان، وهو أصدق ما يقال عن الابن له المجد، هو مولود محبة؛ لأن المحبة هي جوهر الله، هي كيانه الحقيقي الذي منه يولد الابن دائمًا؛ ليكون ابنًا ازليًا. أزلية محبة الآب هذه، هي التي جعلت الإصرار على أُلوهية الابن هو إصرارٌ على عودة الإنسانية إلى الآب، وإلى محبته في الابن المتجسد. وهي ليست عودة لفظية بالتوبة وحدها، بل عودة كيانية تعيد الإنسان كيانًا لا لفظًا فقط إلى شركة كيانية تعبِّر عنها الكلمات.

تمييز الأقنوم في الجوهر لا يلغي وحدانية الجوهر:

عندما يطعن شهود يهوه في إيماننا بالثالوث القدوس مُدَّعين أننا تخطينا التوحيد الذي أعلنه العهد القديم، فهم أولًا يكونوا قد تجاهلوا العهد الجديد برمته، وثانيًا، عندما يقتبسون من العهد الجديد، فإنهم يشرحون العهد الجديد على أساس العهد القديم، بينما العكس هو الصحيح؛ لأن شرح العهد القديم شرحًا حقيقيًّا لا لبس فيه هو الشرح الذي يكون في نور العهد الجديد، أي يسوع ابن الآب الوحيد.

وكما ذكرنا من قبل، إن توحيد العهد القديم هو ذاته توحيد العهد الجديد؛ لأن التوحيد مُعلَن في أفعال «إله العهد»، وليس في اللفظ وحده، مثل «أنا الرب إلهك

٤- راجع دراستنا بعنوان: الكنيسة جسد المسيح، المسيح والمسيحي وشركة الجسد الواحد، جذور للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى يناير ٢٠١٤.

٥- يلاحظ أن ترجمة ''أقنوم'' إلى ''شخص'' هي أقرب كلمة عربية، ولكن شأنها شأن كل ترجمة، قاصرة عن التعبير عن الحقيقة. الأقنوم، حسب السريانية التي جاءت منها كلمة أقنوم، هو كيان، وهو تعيين، وخصوصية في الحياة الإلهية أو الجوهر.

الذي أخرجك من أرض مصر – لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (خروج ٢: ٢ – ٣)، كانت هذه مقدمة الوصايا العشر وجاءت لتؤكد أن:

* التوحيد هو اختبارٌ لحياةٍ يُستعلَن فيها الله، وليس مجرد إقرار لفظي. وكيف تُختبَر المحبة الإلهية الذاتية الكيانية إذا لم يكن لها وجود حقيقي في الكيان الإلهي؟ إن اختبار العهد القديم للتوحيد، هو اختبارُ خلاصٍ من العبودية، وتحرُّرٍ من الأسر. أما اختبار العهد الجديد، فهو تذوُّق المحبة الإلهية، وتحرُّرٌ من الموت.

* توحيد الله في المسيحية هو توحيد الحياة الإلهية، وهو مضادٌ تمامًا لكل اتجاهات الحضارة والثقافة والأمراض النفسية، ولذلك هو:

- توحيدٌ مثلثٌ لا يسمح بالتجزئة؛ لأن التجزئة هي جزء من كل نظام سياسي قديم وحديث، حتى إن بلغت الديموقراطية –على أوراق القانون أوج تطورها– إذ لا مكان فعَّال للمعارضة.
- والتقسيم هو أحد أركان كل الأنظمة الاجتماعية، ليس فقط السادة والعبيد، بل الأغنياء وهم السادة والعبيد وهم الفقراء، والمتعلم ومن يوصف بأنه جاهل.
- الفصل هو آلة الأنظمة القهرية وسكين التسلط الحاد.

وتدخل هذه كلها في الحياة النفسية، وفي الزواج، وفي إدارة الكنيسة نفسها، وفي الاجتماعات، وفي الخطاب، حتى الديني نفسه، فقد تحول الأسقف من «أبونا» إلى «سيدنا»، ولا تزال «سعادة الباشا» تقال لضباط الأمن .... الخ. و «البيه» هو حتى عامل البوفيه لكي يضع السكر المضبوط في القهوة.

هذا ملفٌ كبير قدَّم صورةً متكاملةً منه أكثر من باحث وعالم ما زالوا كلهم أحياء بيننا: د. مصطفى حجازي، ود. على زيعور عن القهر والتسلط وقطاع النرجسية في الذات العربية، وهي أسوارٌ منيعة تقف أمام الواحد في ثلاثة والثلاثة في واحد؛ لأن وحدانية ثلاثة هي عائق أمام كل مريض بالنرجسية، أو حسب تعبير د. علي زيعور: «المستعلي» و «الأكبري». ولا داع لأن نخوض في تحليل السلوك

المريض؛ لأن مراجعة د. يحي الرخاوي وغيره من الذين دخلوا مجاهل الثقافة والحياة الاجتماعية، قد كشفوا النقاب الذي يغطي كل هذه الضعفات الموروثة.

* التعيين والتمييز لا يلغي وحدانية الله، ولكن في المسيحية كل صفات الله -كما سبق وقلنا- هي صفات تعامُل الله مع الخليقة. لكن ما هو كيان الله نفسه؟ هو الكيان الواحد. لكن هذا الكيان الواحد أعلن لنا أن في ذاته الواحدة ثلاثة، والثالوث ليس إعلانًا لفظيًّا، بل هو يسير في نفس مسار الاستعلان القديم: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من ارض مصر» (دعوة التحرر).

«أنا والآب واحد». «الآب الحال فيَّ يعمل الأعمال التي أعملها أنا» (دعوة للشركة).

نفس الاتجاه هو أن يصبح الله الحي اختبارًا حقيقيًّا، لا مجرد نطق يعبِّر عن فكرةٍ صحيحةٍ كفكرة، ولكن ليس لها أي «تلامس» مع الواقع الإنساني.

كان أحد شيوخ الأسقيط يقول: «كلامي واحد زي الله الواحد». وكان يقول أحيانًا: «مَن ليس له محبة الآب ليسوع، لا يعرف شيئًا عن محبة نفسه وعن محبة الآخرين».

لقد غابت أيقونة الثالوث من خطاب الكنيسة المعاصر؛ لأننا -كما ذكر الأخ سامي- لم نعد نسمع حتى في عيد الظهور الإلهي شيئًا عن الثالوث المستعلَن في معمودية الابن. بل غاب عن تحديث الخطاب الخاص بالزيجة، وهي اتحادُ اثنين في حياةٍ واحدة، قاعدتها الشركة، وبقاء الشركة هو ما يحفظ الخصوصية. وغاب عن وصف الكنيسة بأنها أيقونة أرضية لما هو إلهي سمائي، فهو أعضاء متنوعة وجسد واحد (١كو ص ١٢ كله). واكتفينا بنقل التشبيهات القديمة: الشمس — النور — الحرارة، وتركنا التحول الكياني الذي يفتح الحياة على الآخر؛ لأن «الفردَ فردٌ، ومتى أَحَبَّ، تأقنم»، وهي مقولةٌ قديمةٌ لا مجال لها في مجتمع التسلط والقهر.

نحتاج إلى أن نغوص في أعماق النفس الإنسانية الرافضة للتعليم الإلهي. وكل حُجة تقال ضد هذا التعليم، هي في النهاية رفضٌ للشركة.

انزعجَ صديقٌ قلت له بدون إعداد سابق: «الشِّرْكُ في المحبةِ توحيدٌصحيح». وأخذ كلمة الشِّرك، وترك كيف أن الشِّرك هو الشركة؛ لأن الشِّرك كلمة مكروهة حسب الفقه الإسلامي، ولكنها كراهية ضد التعدد، وضد الوثنية، لا ضد الشِّرك الذي تأتي به المحبة. وكلما قابلت صديقي المنزعج هذا، كلما ردَّدَ هذه العبارة: «الشِّرْكُ في المحبةِ توحيدٌ». وأقول له مع ابتسامة: «نعم. لأن مَن يشترك في محبة الله يوحِّد الله فعلًا». أمَّا مَن يوحِّد الله بالنطق بلا محبة، فتوحيده توحيدٌ لفظيٌ فقط.

حقًّا. ما أكثر الآلهة في حياتنا الدينية والسياسية والثقافية، وهي أكثر قربًا من الإله الحق الذي في المحبة لا إله سواه.